

قصة «حي بن يقظان» في تراثنا

القديم

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد فائز سنكري طرابيشي

كلية الآداب جامعة حلب

تعد قصة «حي بن يقظان» أول قصة فلسفية رمزية في تراثنا العربي، ويعد ابن سينا المبدع لهذه القصة التي تستوحي الحكمة الإشراقية وتفسرها في آن واحد. تلك الحكمة التي تبناها ابن سينا نهجاً في سلوكه وتفسيره للوجود على أساس نظرية الفيض والإشراق، معتمداً الذوق حسب ما ذهب إليه أفلاطون والأفلاطونية المحدثة. وهذا مناقض لما عرف عن الشيخ الرئيس من اتباع للمشائين الذين يتبعون أرسطو، ويعملون العقل في تفسير الوجود.

ونظراً لأهمية هذه القصة راح بعض تلامذة ابن سينا يشرحونها، ومن هؤلاء أبو عبيد الجوزجاني وابن زيلة، على أن شرح ابن زيلة هو الشرح الوحيد الذي وصل إلينا، وقد ظن بعض الدارسين أن ابن سينا قد شرح قصته بنفسه، وليس ذلك بصحيح، كما سنتبين في أثناء البحث.

وقد حظيت الحكمة الإشراقية عموماً، وقصة «حي بن يقظان» خصوصاً، باهتمام الفلاسفة والمتصوفين فهبوا يحاكمونها، ويقبسون من أسرارها، ومن أشهر هؤلاء ابن طفيل والسهروردي، بل نالت القصة نفسها إعجاب بعض الشعراء، فعمد إلى نظمها شعراً، لعله يزيل شيئاً من غموضها. وأعني بذلك الشاعر ابن الهبارية الذي نظمها شعراً. ومن الغريب أن كل من تعرض لقصة ابن سينا، محققاً أو دارساً، لم يشر إلى هذا النظم على الرغم من أهميته، لأن ابن الهبارية من شعراء القرن الخامس الهجري، وهو قريب العهد من ابن سينا، ثم إن له بفاعاً في نظم المتون، فضلاً عن ثقافته الواسعة المتشعبة. ولهذا النظم نسخة مخطوطة في استانبول، وقد صورها معهد المخطوطات في

القاهرة منذ حين.

لذلك رأيت أن أقيم هذه الدراسة لقصة «حي بن يقظان» مبيناً موقعها في الفلسفة الإسلامية، وموضحاً نسبة ما وصل إلينا من شروحاتها، ثم حاولت أن أفيد من نظم الشاعر المذكور، الذي اتبعته محققاً، في إلقاء مزيد من الضوء على رموز القصة ومراميها.

مخطط البحث

أولاً: الدراسة

١ - حي بن يقظان - لابن سينا.

١ - الفلسفة المشرقية، أو الحكمة الإشرافية

٢ - مضمون قصة حي بن يقظان وشروحاتها

٣ - تقليد «حي بن يقظان»:

أ - «حي بن يقظان» لابن طفيل

ب - «الغربة الغربية» للسهروردي المقتول

٢ - نظم ابن الهبارية لحي بن يقظان:

١ - مسألة النظم

٢ - دوافع النظم

٣ - استيفاء النظم لأغراض الرسالة وقدرة الناظم

٤ - أسلوب الشاعر

ثانياً: التحقيق

١ - النسخة المخطوطة

٢ - النص: نظم ابن الهبارية لحي بن يقظان (لابن سينا).

- حي بن يقظان، قوى التخيل، القوى الغضبية، القوى الشهوانية، العالم العقلي، مداواة القوى الغضبية والشهوانية بالمنطق، سلطة المنطق على قوى التخيل، طلب العالم العقلي وتعويق البدن، تقسيم الموجودات وتركيبها من صورة وهيولى، تبديد الشكوك وصواب حكم المنطق، الهيولى والصورة، العوالم الأربعة، العالم العلوي وأقاليمه، ترتيب العقول، الأفلاك والأجرام السماوية، الأسطقسات الأربعة، اتصال العوالم، قوى الإنسان وحواسه، تضليل قوة التخيل، القوى المدركة والمحركة، النفوس الناطقة، قوة العمل وقوة العلم، النفوس الفلكية، الملاً الأعلى.

أولاً: الدراسة

١ - حي بن يقظان - لابن سينا^(١)

عُرف ابن سينا بفلسفته المشائية، التي تعتمد العقل، في تفسير الوجود، حسب ما ذهب إليه أرسطو، كما في كتاب الشفاء، غير أنه في بعض تصانيفه ورسائله تأثر بالفلسفة الإشرافية، التي تعتمد الذوق في تفسير الوجود، حسب ما ذهب إليه أفلاطون والأفلاطونية المحدثة، كما في القسمين الثالث والرابع من «الإشارات والتنبيهات»^(٢) وفي قصة «حي بن يقظان» وغير ذلك. على أن أتباع ابن سينا الفلاسفة المشائية كان مجارة لجمهور المشتغلين بالعلم، على غير اقتناع بها، ولذلك صرح في مقدمة «منطق المشركيين»^(٣) بأنه من أتباع الفلسفة الإشرافية التي يضمن بها على غير أصحابها: «وما

(١) الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي شرف الملك (٢٧٠ - ٤٢٨ هـ): الفيلسوف الرئيس صاحب التصانيف في الطب والطبيعات والإلهيات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى. نشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، ومات في همذان. «وفيات الأعيان» ١: ٤١٩ - ٤٢٤ و«تاريخ حكماء الإسلام» ص ٢٧ - ٧٢. والغريب أن «المعصومي» سها في ذكر وفاة ابن سينا في التمهيد الذي استهل به مقالته «رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن سينا» في مجلة المجمع العلمي العربي ٢٩: ٦٠٦ وكذا في الكتيب المستقل الذي طبع في المجمع أيضاً. فقد جعل وفاة ابن سينا سنة ٣٧٠ هـ.

(٢) في الإلهيات والتصوف، مع شرح نصير الدين الطوسي

(٣) ص ٤.

جمعنا هذا الكتاب لنظهره إلا لأنفسنا — أعني الذين يقومون منا مقام أنفسنا — وأما العامة من مزاولي هذا الشأن فقد أعطيناهم في الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم....»

١ - الفلسفة المشرقية^(١)، أو الحكمة الإشراقية:

وهي الأصل الذي بنى عليه ابن سينا قصته الفلسفية «حي بن يقظان». يقول قطب الدين الشيرازي^(٢): «إنها الحكمة المؤسسة على الإشراق الذي هو الكشف أو حكمة المشاركة الذين هم أهل فارس، وهو أيضاً يرجع إلى الأول، لأن حكمتهم كشفية ذوقية، فنسبت إلى الإشراق الذي هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وقيضانها بالإشراقات على النفوس عند تجردها، وكان اعتماد الفارسيين في الحكمة على الذوق والكشف، وكذا قدماء يونان خلا أرسطو وشيعته، فإن اعتمادهم كان على البحث والبرهان لا غير».

وهذا النص المهم يشير إلى أن الإشراق مصدر الحكمة المشرقية وأن هناك ترادفاً بين كلمتي (إشراقي) و(مشرقي)، فيمكن فهم الإشراق على أنه حكمة المشرقيين أي الشرقيين الذين يقعون جغرافياً في الشرق، أي في بلاد فارس. وأن بين فلسفة هؤلاء الشرقيين وبين فلسفة أفلاطون والأفلاطونية المحدثة تائراً وتقارباً.

على أن الحذر واجب عند إطلاق مثل هذه الأحكام، فثمة فرق جوهري بين فلسفات الفرس القديمة وبين الإشراقية. ففكرة النور والظلام عند الزرادشتيين والمانويين والمزادكة تخالف أساساً فكرة النور الوحيدة عند الإشراقيين. فلا وجود للظلام عندهم. إنه انعدام النور أو تلاشيهِ. ولذلك لا يمكن أن يُعدَّ الظلام مبدأ وجودياً عند الإشراقيين كما في المذاهب الفارسية القديمة.

ويتضح أثر ابن سينا في فلسفة الإشراق إذا ما عرفنا أن المصدر الذي أخذت عنه الإشراقية هو المذهب نفسه الذي تأثر به ابن سينا، وهو الأفلاطونية المحدثة التي تقوم

(١) كان العرب يستعملون كلمة «فلسفة» إلى جانب كلمة «حكمة» وهي في العادة مرادفة للحكمة. والمشائون يؤثرون كلمة «فلسفة». أما الإشراقيون فيفضلون استعمال كلمة «حكمة» وبين المستشرقين خلاف في لفظ «المشرقية» فمنهم من رأى ضم الميم ومنهم من رأى فتحها، والرأي الثاني أقرب إلى الصواب. انظر «دائرة المعارف الإسلامية» ٨ : ١٤ - ١٥ و«التراث اليوناني» ٢٤٩ - ٢٩١.

(٢) «حكمة الإشراق» للسهروردي، المقدمة لقطب الدين الشيرازي.

على أساس نظرية الفيض والعقول العشرة. ويمكن القول^(١) إن ما جاء في إشارات ابن سينا^(٢)، وفي قصتي «حي بن يقظان» و«سلامان وأبسال»^(٣)، وفي «رسالة الطير»^(٤) لابن سينا، كافٍ لإقامة فلسفة إشراقية، وبهذا يكون قد سبق «السهروردي» (- ٥٨٧هـ) في هذا الاتجاه. ويبقى الاختلاف بينهما في مقدار تعمق الأخير في الناحية الإشراقية، لا في نوع فلسفة كل منهما.

(١) أصول الفلسفة الإشراقية ص ١١٦ - ١١٧.

(٢) أشار ابن سينا إلى سلامان وأبسال في كتاب الإشارات والتنبيهات (ص ٧٩٠ - ٧٩٢) بقوله: «وإذا قرع سمعك فيما يقرعه، وسرد عليك فيما تسمعه قصة لسلامان وأبسال فاعلم أن سلامان مثل ضرب لك، وأن أبسالاً مثل ضرب لدرجتك في العرفان إن كنت من أهله، ثم حل الرمز إن أظقت. «وقد علق الطوسي على هذه الإشارة بأن سلامان وأبسالاً لفظتان وضعهما الشيخ لبعض الأمور وهما أقرب إلى الأحاجي، وليس ذكرهما إشارة إلى قصة مشهورة، بل هما كلمتان تجريان في أمثال العرب وحكاياتهم.

(٣) يذكر الطوسي أنه بعد شرح الإشارات بعشرين سنة وقعت إليه قصة «وهي منسوبة إلى الشيخ وكانها هي التي أشار الشيخ إليها، فإن أبا عبيدة الجوزجاني (وقد تصحف الاسم في تحقيق د. سليمان دنيا للإشارات إذ جعله أبا عبيدة الجرجاني، وذلك خطأ) أورد في فهرست تصانيف الشيخ قصة سلامان وأبسال له «وقد أورد مضمون تلك القصة دون ذكرها حرفياً طلباً للاختصار. ومفاد القصة أن سلامان وأبسالاً كانا أخوين شقيقين، وأبسال أصغرهما، وقد عشقته امرأة سلامان وطلبت إلى زوجها أن يخلطه بأولاده لأنه عاقل متأدب عالم عفيف شجاع، ثم إنها عشقته، فانقبض أبسال فسعت في تزويجه من أختها، وليلة الزفاف باتت في فراش أختها، فاستاء أبسال وعزم على مفارقتها، وأبدى لأخيه أنه يريد فتح البلاد والاستيلاء على الأرض، ولما رجع إلى وطنه عادت زوجة سلامان إلى سابق عهدها، فلما رفض تأمرت مع رؤساء الجيش للإيقاع به، فظفر به الأعداء وتركوه جريحاً، وظن القواد أنه مات. ثم إن مرضعة من الوحش عطفت عليه إلى أن شفي وعاد إلى أخيه سلامان، فتأمرت زوجته ثانية في دس السم له فمات، واغتم سلامان لذلك وترك الملك بعد أن انتقم ممن وضع السم لأخيه.

ثم ذكر الطوسي تأويل القصة، فقال إن سلامان مثل للنفس الناطقة، وأبسالاً مثل للعقل النظري المترقى إلى الكمال. وامرأة سلامان مثل للقوة البدنية، وأختها هي القوة العملية.. الإشارات والتنبيهات ص ٧٩٦ - ٧٩٨ وتسع رسائل ص ١٧٢ - ١٧٧.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن سينا أشار إلى قصة سلامان وأبسال في رسالة القدر، وذكر فيها حديث لمعان البرق من الغيم المظلم الذي أظهر لأبسال وجه امرأة سلامان حتى أعرض عنها، وهذا يؤكد نسبة القصة المذكورة إلى ابن سينا، انظر رسائل الشيخ الرئيس ٤ : ٥.

(٤) حاول ابن سينا في «رسالة الطير» أن يبين حال الإنسان قبل تجرده من عالم الهيولى، ثم حصوله على رؤية الحقيقة التي هي الله سبحانه وتعالى. وقد أبرز ذلك في صورة تخيلية، وهي رمز الطير يقع في شباك العدو، ولا يزال يحاول النجاة إلى أن يحظى بالخلاص بجده وثباته. انظر رسائل الشيخ الرئيس ٢ : ٤٢ و«مجلة المشرق» السنة الرابعة ص ٨٨٢ - ٨٨٧.

٢ - مضمون «قصة حيّ بن يقظان» وشروحها:

كتب ابن سينا قصة حي بن يقظان في قلعة فردجان قرب همذان، وقد حبسه تاج الملك، حاكم همذان، وكان اتهم الشيخ بمكاتبته علاء الدولة (أبي جعفر بن كاكويه) حاكم أصفهان سرّاً^(١).

وخلاصة قصة «حي بن يقظان» أن إنساناً خرج برفقة إلى بعض المتنزهات فعنّ لهم شيخ بهيّ فدّنوا منه مستفسرين عن حسبه ونسبه وبلده وحرفته. فأجابهم: إني حي ابن يقظان، وبلدي مدينة بيت المقدس، وحرفتي السياحة في أقطار العوالم. ودار حوار بين الإنسان ورفقائه وبين الشيخ حول كيفية السياحة ووسائلها، فأشار الشيخ إلى الإنسان، أن تخلّص من رفقائك أولاً، واتّبِع المنطق ثانياً تصل إلى ما وصلت إليه. ثم شرع الإنسان يسأله عن الأقاليم التي أحاط بها علمه، فكّر الشيخ يشرح حدود الأرض ويتحدّث عن الأنواع المعدنية والنباتية والحيوانية والإنسانية. وعن الأجرام والأفلاك السماوية. ومن ثمّ عاد إلى الحديث عن قوى الإنسان وحواسه، وكيف يمكن الارتقاء به إلى مرتبة الملائكة. وفي ختام القصة يأسف الشيخ لاشتغاله بمخاطبة الإنسان، فقد ابتعد عن العالم السماوي في هذا الخطاب، غير أنّه وجد العزاء في إمكانية إقناع الإنسان بسلوك مسلك العقل.

«وقد حازت هذه القصة مع قصرها أهمية كبرى في تاريخ الفلسفة في الإسلام، فإنها أول قصة أنشئت في الإسلام لإيضاح المطالب الفلسفية. وقد أثبت الشيخ فيها، كما أثبت في رسالة الطير أن الأرواح الإنسانية لها علاقة خاصة مع العقل الفعال، ثم بوساطته مع الحضرة الألوهية. والعقل الفعال هو الروح القدس في فلسفة الفارابي وابن سينا وابن باجه وغيرهم من سائر الفلاسفة المسلمين»^(٢).

وذكر المعصومي^(٣) أن ابن سينا يرى أن العقل الإنساني له أن يصل إلى حضرة الحق، فالعقل موهبة من الله تعالى قد أفيضت على الأرواح الإنسانية.

(١) عيون الانبياء في طبقات الأطباء ص ٤٤١.

(٢) «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤١٠.

(٣) المصدر السابق.

والحق أن القصة موغلة في الرمز، فالرفقة: حواس الإنسان وسائر قواه البدنية، والشيخ البهي: هو العقل الفعّال، والسياحة: سلوك الإنسان مسلك العقل الفعّال بعد تخلصه من عوائق البدن... ونظراً لغموضها فقد كان حرياً شرحها لتقريبها إلى الأفهام، وقد شرحها تلميذ ابن سينا أبو عبيد الجوزجاني، ولم يصل إلينا شرحه. وشرحها أيضاً تلميذ آخر للشيخ الرئيس هو أبو منصور الحسين بن محمد بن زيلة^(١)، ولهذا الشرح نسخ مخطوطة عدّة. من هذه النسخ:

١ - نسخة محفوظة في إستانبول بمكتبة «طوبقبو سراي» تحت رقم (٢٢٦٨ / ٥)، في مجموع بعد نظم ابن الهبارية لرسالة حي بن يقظان مباشرة. وتعود هذه النسخة إلى سنة (٥٨٠هـ)، ولعل هذه أقدم نسخة وصلت إلينا من شرح ابن زيلة، وعنوانها «شرح الشيخ أبي منصور لحي بن يقظان».

٢ - الشرح المختار الذي نشره «مهرن» مع رسالة حي بن يقظان سنة ١٨٨٩م، دون أن يعزوه إلى ابن زيلة^(٢). ويرى المعصومي^(٣) أن «مهرن» لم ينسب الشرح إلى ابن زيلة لأنه وجده منسوباً إلى ابن سينا في نسخة «بودليانا»، فرأى الاحتياط في عدم نسبة الشرح إلى ابن زيلة.

٣ - الشرح المختار الذي نشره محيي الدين صبري مع رسالة حي بن يقظان في مجموعة «جامع البدائع» سنة ١٩١٧م، دون أن يعزوه إلى ابن زيلة أيضاً.

٤ - ويذكر المعصومي^(٤) أنه ظفر بشرح آخر لحي بن يقظان، وهو شرح مختصر منسوب إلى ابن زيلة، عنوانه «مختصر في تفسير معاني رسالة حي بن يقظان، من تعليق ابن زيلة صاحب شرح الشفاء». ويرى المعصومي^(٥) أن هذا الشرح

(١) كشف الظنون ١: ٨٦٢.

(٢) الحسين بن محمد - أو ابن ظاهر - ابن زيلة، أبو منصور، حكيم عالم بالرياضيات، ماهر في الموسيقى، عارف بالأدب، حسن الإنشاء، أصفهاني الأصل والمولد، كان من خواص تلاميذ ابن سينا. من كتبه: «النفوس» و«شرح رسالة حي بن يقظان» و«الاختصار من طبيعيات الشفاء - لابن سينا» و«الكافي في الموسيقى» توفي سنة ٤٤٠هـ قبل الكهولة (الأعلام ٢/ ٢٥٤).

(٣) شرح رسالة حي بن يقظان ٢٩: ٤٠٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

وما نشره محيي الدين صبري «ومهرن» ملتقط من شرح طويل، وأن الشرح الطويل هو شرح ابن سينا نفسه لرسالة حي بن يقظان.

٥ - وقد وقف المعصومي في مكتبة «بودليانا» على شرح لرسالة ابن سينا ضمن مجموع تحت رقم (٥٣٤، هنت^(١))، وقد رجح كتابة ذلك الشرح سنة ٦٢٤هـ. والغريب أن المعصومي قد نسب شرح رسالة ابن سينا إلى المؤلف نفسه، وبذلك يحل المشكلة في اختصار ابن زيلة لشرح رسالة حي بن يقظان المذكور آنفاً.

وقد عمد المعصومي في استنتاجه لأدلة ثلاثة:

أ - ما جاء في أول النسخة الخطية، وهو: «قال الشيخ الرئيس الأوحى الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، قدس الله لطيفه ولقاه إحسانه، وما وليه في قوله: «وبعد فإن إصراركم معشر إخواني على اقتضائي شرح قصة حي بن يقظان هزم لجاجي في الامتناع، وحل عقد عزمي في الماطلة والدفاع، فانقدت لمساعدتكم وبالله التوفيق». وقد رأى المعصومي أن هذا الخطاب جاء على بعد عن نص القصة التي تبتدىء بقوله: «إنه قد تيسرت لي حين مقامي بيلادي برزة برفقائي إلى بعض المتنزهات المكتنفة لتلك البقعة».

ب - إن عبارات المتن (القصة) كتبها الناسخ في سطور قصيرة بالنسبة إلى عبارة الخطاب المذكورة آنفاً «وبعد فإن إصراركم...» مع أن المتن في كل من نسختي المتحف البريطاني وخزانة «ليدن» يبتدىء بها.

ج - ما جاء في أول المجموع المحفوظ في «بودليانا» في ثبوت المحتويات وهو بخط حسن قديم يختلف عن خط الرسائل، وهو الآتي^(٢): «رسالة حي بن يقظان مع شرحها له^(٣) أيضاً، ويلى ذلك في الورقة الثانية بخط التعليق الأول نفسه: «وفيه رسالة حي بن يقظان مع شرحها كلاهما لابن سينا». وبهذه الأدلة يرى

(١) شرح رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤٠٦.

(٢) «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤١٠.

(٣) أضاف المعصومي بن قوسين (لابن سينا).

المعصومي أن «لا مجال للشك في أن الشرح السابق ذكره للشيخ الرئيس نفسه»^(١).

بيد أن أدلة المعصومي هذه غير مقنعة تماماً. أما دليhle (١) ففيه نظر لأن ابن سينا في نص القصة يورد العبارات نفسها، ولا سيما قوله: «وبعد فإن إصراركم معشر إخواني على اقتضاء شرح قصة حي بن يقظان هزم لجاجي...»^(٢) فالمراد من الشرح هنا سرد القصة وذكر تفاصيلها، لا شرح نص القصة وتفسيره. وما جاء في مستهل الشرح ونصه: «قال الشيخ الرئيس الأوحd الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا...» نجد ما يقاربه في شرح ابن زيلة، وهو أمر طبيعي لدى الشراح في توثيق المتن المشروح. والفصل بين بداية القصة وبين الخطاب السابق على لسان ابن سينا ليس بدليل أيضاً.

وأما دليhle (ب) من حيث الفصل بين المتن والشرح فلا يكفي لنسبة الشرح إلى الشيخ الرئيس.

وأما دليhle (ج) وهو العنوان في ثبوت محتويات المجموع: «رسالة حي بن يقظان مع شرحها له أيضاً فلا برهان له، فضلاً عن ذلك لا توجب العبارة أن يكون المتن والشرح لابن سينا.

وقد أشار المعصومي^(٣) نفسه إلى خلو قائمة الكتب المنسوبة إلى ابن سينا من شرحه لرسالة حي بن يقظان.

وبعد ذلك كله رأيت أن أقرن الشرح الذي عثر عليه المعصومي (مخطوط بودليانا) بأقدم شرح لرسالة حي بن يقظان، وهو شرح الشيخ أبي منصور الحسين بن محمد ابن زيلة المذكور آنفاً (مخطوط إستانبول)، ووصلت إلى أن الشرحين ينتميان إلى أصل واحد أي شارح واحد، وتكاد الصفحات الأولى من المخطوطين تتطابق كلمة كلمة، اللهم إلا في المستهل حيث ذكرت نسخة (بودليانا) من ألقاب الشيخ الرئيس أكثر مما ذكرته نسخة إستانبول. ثم وقع خرم في نسخة (إستانبول) مقداره أقل من سطرين وهو من

(١) «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤١٠.

(٢) «أحمد أمين» حي بن يقظان ص ٤٣.

(٣) رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤٠٨.

قول الشارح في تفسير (حين مقامي بيلادي ببرزة برفقائي)، ثم وقع اضطراب في الترتيب بين النسختين في تفسير قول ابن سينا (فنزعت إلى مخالطته، وانبعث من ذات نفسي متقاض لي... وافتر عن لهجة مقبولة).

ولم يتيسر لي مقابلة مخطوط إستانبول كاملاً بالمخطوط الذي حققه المعصومي، لكن الصفحتين الأوليين من كليهما تبيان أنهما لابن زيلة. وإن وجد بعض الخلاف أو الزيادة فإنه خلاف بين نسختين مختلفتين لشارح واحد. وهذا يقضي بنا إلى أن الشرح الذي نشره المعصومي معزواً إلى ابن سينا، إنما هو لابن زيلة تلميذه الذي يعد الشرح الوحيد الذي وصل إلينا من شروح تلامذة ابن سينا^(١).

٣ - تقليد «حي بن يقظان»:

لقد كان ابن سينا في قصصه الفلسفي محط أنظار الفلاسفة والمتصوفين الذين راحوا يحكمون قصصاً على النحو نفسه، ومن هؤلاء الغزالي وابن طفيل والسهورودي، وسنهتم بالذين حاكوا قصة حي بن يقظان، مقتصرين في ذلك على ما ألف باللغة العربية من تلك القصص^(٢):

أ - حي بن يقظان لابن طفيل (٥٨١هـ): ألف ابن طفيل قصة فلسفية عنوانها «حي ابن يقظان» أيضاً، وقد تأثر فيها كما صرح نفسه، بحي بن يقظان لابن

(١) من المتصوفين الذين اعتنوا بتفسير قصة حي بن يقظان الشيخ أبو البقاء المقدسي، وقد سمي تفسيره بجواهر البيان وجواهر التبيان، وكذلك الشيخ عبد الرؤوف محمد بن تاج العارفين المناوي الشافعي (١٠٣١هـ) الذي شرحها أيضاً.

«المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٩: ٤١٢ نقلًا عن بروكلمان: Suppl. I. p. 817.

وقد ذكر المعصومي أن وفاة المناوي سنة (٩٥٢هـ) والتصويب من الأعلام ٦: ٢٠٤.

(٢) «فقد كانت رسالة ابن سينا ذاتعة الصيت بين الفلاسفة العبرانيين أيضاً، ولها أثر واضح على أدب اللغة العبرية، كما نشاهد ذلك في منظومة «حي بن مقيظ» لابن عزرا اليهودي (١١٨٤م). وكانوا ترجموا الرسالة مع شرحها لابن زيلة باللغة العبرية. وقد نشر البروفيسور دي كافمان هذه الترجمة قديماً في سنة ١٨٨٦م في «برلين». وقد أشار المعصومي أيضاً إلى «كتاب فاضل بن ناطق» الذي يعارض رسالة حي بن يقظان، ويبدو أن الرمز والهدف في هذا الكتاب مخالفان لما في رسالة ابن سينا، إذ تصدى ابن النفيس المصري (٦٨٧هـ) صاحب الكتاب المذكور للدفاع عن تعاليم الإسلام، وعلى الخصوص عن النبوة. والقوانين الإلهية، وعن مسألتي الحشر وحدوث العالم، ويوجد مخطوط وحيد من هذا الكتاب في مكتبة عاشر أقدني في إستانبول. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٩: ٤١٣ - ٤١٤.

سينا وبقصة أخرى اسمها «قصة أبسال وسلامان» لابن سينا أيضاً فقال: (١).

«فأنا واصف لك قصة حي بن يقظان، وأبسال وسلامان اللذين سماهما الشيخ أبو علي. ففي (قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (٢)، و(يُكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (٣)».

ومما جاء في قصة ابن طفيل (٤):

«سألت أيها الأخ الكريم... أن أثبت إليك ما أمكنني بثه من أسرار الحكم المشرقية، التي ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا». وفي ذلك إشارة إلى قصة حي بن يقظان التي تنتمي إلى هذه الحكمة.

وخلاصة قصة «ابن طفيل» أن إنساناً وجد في جزيرة بلا أم ولا أب، وترعرع فيها إلى أن استطاع الوصول إلى المعرفة بوساطة عقله فحسب. ثم اتفقت له صحبة «أبسال» الذي أخذ علمه ومعارفه من الشرائع الدينية برفقة «سلامان» ثم تركه متوجهاً إلى حيث حي بن يقظان. وحاول أبسال معرفة أخبار «حي» فسرده له قصته وكيف ترقى بالمعرفة حتى انتهى إلى درجة الوصول إلى الحقيقة. وراح حي يسأله عن شأنه، فجعل أبسال يصف له جزيرته وحاله فيها. ففهم «حي» ذلك كله ولم ير فيه شيئاً مخالفاً لما شاهده في مقامه الكريم.

ثم اتفق «حي» و«أبسال» على إصلاح الناس فانطلقا إلى الجزيرة حيث سلامان وقومه، وفوجيء «حي» باستحالة إصلاحهم، فانصرف إلى جزيرته مصطحباً أبسالاً ثانية - بعد أن اعتذر إلى سلامان فنظر إليه أبسال بعين التعظيم والتوقير، والتزم خدمته والاقتراء به والأخذ بإشاراته. وعبد الله في تلك الجزيرة حتى اتاهما اليقين.

والحق أن ابن سينا وابن طفيل وصلا إلى غاية واحدة بوسيلتين مختلفتين. وقد

(١) «أحمد أمين» حي بن يقظان ص ٦٦.

(٢) الآية ١١١ من سورة يوسف.

(٣) الآية ٣٧ من سورة ق.

(٤) أحمد أمين ص ٥٧.

اعتمدت تلك الغاية الفلسفة المشرقية أصلاً لها. وكان ابن طفيل أرقى من ابن سينا من حيث اللغة والأدب^(١) والفن القصصي. ثم إن ابن سينا اعتاد التعبير الفلسفي أكثر من ابن طفيل، واعتاد التعمق في الرمز، بينما رموز ابن طفيل قريبة المنال.

ب - «الغربة الغربية»^(٢) للسهروردي المقتول (- ٥٨٧ هـ): اقتفى شهاب الدين السهروردي خطأ ابن سينا، ورأى أن عمل ابن سينا يحتاج إلى ما يكمله:

«أما بعد فإنني لما رأيت قصة حي بن يقظان فصادفتها، مع ما فيها من عجائب الكلمات الروحانية والإشارات العميقة، معترية من تلويحات تشير إلى الطور الأعظم الذي هو الطامة الكبرى المخزون^(٣) في الكتب الإلهية، المستودع في الرموز، المخفي في قصة حي بن يقظان. فهو الذي يترتب عليه مقامات الصوفية وأصحاب المكاشفات وما أشير إليه في رسالة حي بن يقظان إلا في آخر الكتابة حيث قال^(٤): ولقد هاجر إليه أفراد من الناس. إلى آخر الكتاب فأردت أن أذكر طوراً في قصة سميتها أنا الغربة^(٥) الغربية لبعض إخواننا الكرام»^(٦).

فالسهروردي أراد التفصيل في مسألة معرفة الذات الإلهية، وقصر قصته على هذه النقطة، بينما كانت قصة ابن سينا تفسيراً كاملاً للوجود، من خلال الحكمة المشرقية التي أشرت إليها. فقصة السهروردي أقرب إلى التصوف من قصة ابن سينا الفلسفية. وفضلاً عن ذلك فهي موعظة في الرمز على قصرها، وقد وشحها بكثير من الآيات القرآنية التي زادت في غموض المراد منها. ويمكن القول إنها تشابه رسالتي الطير - لابن سينا والغزالي - أكثر من مشابهتها قصة حي بن يقظان، من حيث هدفها الصوفي ورموزها

(١) أحمد أمين ص ٣٥.

(٢) سماها أحمد أمين «حي بن يقظان» للسهروردي، وكذلك المعصومي. وعبارة السهروردي واضحة تماماً، ولا سيما في آخر القصة: «وهذه القصة تسمى الغربة الغربية». انظر أحمد أمين ص ١٣٥، ١٣٨ والمعصومي ٢٩: ٤١٣.

(٣) في الأصل: المخزون.

(٤) وفي قصة ابن سينا «ولربما هاجر إليه أفراد من الناس...» «مهرن». حي بن يقظان ١: ٢٢.

(٥) في الأصل: «الغربة الغربية». والمراد غربة الإنسان في هيولاه التي محلها الغرب.

(٦) أحمد أمين ص ١٣٥.

– نظم ابن الهبارية^(١) لقصة حي بن يقظان

١ – مسألة النظم:

لقد سرت موجة النظم التعليمي التي شاعت في العصر العباسي حتى شملت أكثر المعارف، ومنها المعارف الفلسفية. ويُعد نظم ابن الهبارية لقصة ابن سينا «حي بن يقظان» من هذا النظم التعليمي، ويلفت النظر أن القدماء لم يشيروا إلى ذلك فيما وصل إلينا، على الرغم من أهمية تلك القصة الفلسفية ومكانها في الفلسفة الإشراقية.

٢ – دوافع النظم:

تشير مقدمة النظم إلى أنه كان إجابة عن إلحاح تعرض له الشاعر: «سئل الشريف.. نظمَ كلام أبي علي بن سينا في حي بن يقظان»^(٢). ولكن الشاعر اعتذر في البدء «فقال: لست من أهل ذلك العلم ولا أعرف معانيه ولا تعاطيت فهمه قطّ. فالزم ذلك امتحاناً فأجاب بعد الامتناع»^(٣). فابن الهبارية لم يكن متخصصاً بالفلسفة كما تشير المقدمة، وليس معنى ذلك أنه لا يعرفها البتّة.

فهو واسع الثقافة^(٤). ولكن كيف نوفق بين ما صرح به ابن الهبارية في المقدمة وبين

(١) هو محمد بن محمد (٥٠٩هـ) الشريف أبو يعلى البغدادي، من شعراء العصر العباسي، وقد كان مشهوراً في زمانه. له ديوان ضخم مفقود، وقد جمعت أشعاره. وهي قيد الطبع في وزارة الثقافة السورية. ومن آثار الشاعر كتاب «الصادح والباغم» وهو أول شعر قصصي في أدبنا العربي، يدور جله على السنة الحيوانات. وكذلك له كتاب «نتائج القطننة في نظم كلية ودمنة» وهو أول نظم يصل إلينا كاملاً للكتاب المذكور. وقد درست هذين الكتابين ضمن رسالة نلت بها درجة الماجستير في جامعة حلب وعنوانها: «ابن الهبارية: حياته وأدبه». وله أيضاً رسالة في الشطرنج تم تحقيقها مع دراسة بعنوان: «الشطرنج والنرد في أدبنا العربي القديم»، وقد نشرت منذ وقت قريب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد ٦٥، الجزء الثاني، ص ٢٨٠ – ٢٢٣). ومن آثار الشاعر المخطوطة كتاب «فلك المعاني» في الأدب، وأقوم بتحقيقه الآن وأخيراً للشاعر نظم رسالة حي بن يقظان الذي نحن بصددده.

(٢) انظر مقدمة النظم.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) شملت ثقافة الشاعر المعارف الفلسفية التي نجد بعض مظاهرها في كتابه «الصادح والباغم»، إذ تأثر فيه برسالة الطير لابن سينا، ومثيلتها للغزالي، ورسالة الحيوان لإخوان الصفا.

سعة ثقافته هذه؟ إن مجرد السؤال أمر سبق إليه ابنُ سينا في مطلع قصته «وبعد فإن إصراركم معشر إخواني على اقتضاء شرح قصة حي بن يقظان هزم لجاجي وحل عقد عزمي في الماطلة والدفاع فانقدت لمساعدتكم»^(١). فقد قلّد ابنُ الهبارية ابنَ سينا في تمنّعه عن الإجابة إلا بعد الإلحاح. وكذلك ابن طفيل فقد قدّم لقصته قائلاً:

«سألت أيها الأخ الكريم... أن أبث ما أمكنتي بثّه من أسرار الحكمة المشرقية»^(٢).

ولكن الشاعر جادٌ في اعتذاره - كما نظنّ - لأنه ليس فيلسوفاً - وإن كان ملماً بأطراف من الفلسفة - وإن مَنْ يُقدم على نظم متن ما ينبغي أن يكون على معرفة بأصول هذا المتن، ولا سيما إذا كان متناً فلسفياً موعلاً في الرمز والتعقيد.

ولذلك فإنّ نظمه كان امتحاناً حقاً لثقافته الفلسفية، وما كان له أن يفخر بنظمه لهذه الرسالة مثلما فعل في مقدمة «نتائج القطنة»^(٣) ومقدمة «الصادح والباغم»^(٤). وفضلاً عن ذلك فإنّ الشاعر لم يكن محباً للفلسفة، ولا سيما «المشرقية».

قد قلتُ للشيخ الرئيس الذي تُعزى إليه الحكمة البالغة
إنّ علوماً كنتَ أوضحتها لنا بتلك الحجّة الدامغة
كادتُ تُضاهي الوحي، لكنّها قد أنزلتُ عن غرفة فارغة^(٥)

(١) «أحمد أمين» حي بن يقظان ص ٤٣.

(٢) المصدر السابق ص ٥٧.

(٣) أشار ابن الهبارية في مقدمته إلى قيمة كتاب كليلة ودمنة، وحاول أن يفخر على من سبقه في نظم ذلك الكتاب، وإن لي في نظم هذا الكتاب فضلاً على الأقران والأضراب، نتائج القطنة ص ٩.

(٤) أشار ابن الهبارية إلى تفوقه في المقدمة بقوله:

هذا كتاب فيه علم وأدب يفوق انسواع القريض والخطب

الصادح والباغم ص ٨.

(٥) خريدة القصر، القسم العراقي ٢ : ١٢٥.

٣ - استيفاء النظم لأغراض الرسالة وقدرة الناظم:

كان ابن سينا غامضاً في رسالته، مما حال دون فهمها بيسر وسهولة. وهذا ما دعا ابن الهبارية إلى التصرف في نظمها في بعض المواضع، خلافاً لما فعل في كتاب «نتائج الفطنة» فقد كان مقيداً بالأصل النثري تقيداً حرفياً.

وقد أعان تصرف ابن الهبارية في نظم الرسالة على فهم المراد أحياناً. ففي وصف الشيخ تجنب التعمق، فاكتفى بقوله:

شيخ من البلد القدسي منشؤه سرى إلينا وحيانا فأحيانا
صافٍ نقي من الأكدار ما خلطت به العناصر اقذاءً وأدانا^(١)

فترك التفاصيل التي تُغرق المعنى في الرموز البعيدة، وكان ابن سينا قد أشار إلى علم المنطق في ذكره علم الفراسة، فقال:

«فما زلنا نطارحه المسائل في العلوم، ونستفهمه غوامضها حتى تخلصنا إلى علم الفراسة، فرأيت من إصابته فيه ما قضيت له آخر العجب. وذلك أنه ابتداءً لما انتهينا إلى خبرها، فقال: إن علم الفراسة لمن العلوم التي تنقد عائدتها نقداً، فيعلن ما يسره كل من سجيته. فيكون تبسطك إليه، وتقلصك عنه بحسبه. وإن الفراسة لتدل منك على عقو من الخلاق، ومنتقش من الطين، وموات من الطبائع. وإذا مستك يد الإصلاح اتقنتك، وإن خرطك العار في سلك الزلة انخرطت»^(٢).

وقال ابن الهبارية معبراً عن ذلك:

حتى انتهينا إلى علم الفراسة ميزان الروية فاحفظ ذاك ميزانا
فهو الوثيقة في علم الحقيقة إن لزمته لم تكن للشك حيرانا^(٣)

(١) البيت ٢ و ٣ من النظم.

(٢) «مهرن» رسالة حي بن يقظان ١ : ٣ - ٤.

(٣) البيت ١٨.

فاكتفى بأن عَدَّ علمَ الفِرَاسَةِ ميزاناً يُبين حقائق الأمور. وكلّما اضطر إلى ذكر هذا العلم عرّج على الميزان. كما في حديثه عن القوة المتخيّلة:

وذا المموّه فهاجره ولا تيقنُ بما يقول ولو أعطاك أيماننا
إلا إذا كنتَ بالميزان معتضداً فليس تُلفيه في الميزان خوّاناً^(١)

وألح على الميزان عندما عرض لماء عين الحق، التي ترمز إلى علم المنطق أيضاً:

فاغسلُ بها عنك أوساخَ الشكوكِ وغُصْ فيها فلستَ تُرى من بعد عطشاننا
وهو الذي نيلُهُ الميزانُ فاغْدُبْ به لما تراه من الأشياءِ وزاناً^(٢)

فابن الهبارية أشدّ وضوحاً من ابن سينا في تبيان القصد من هذه العين^(٣).

ومن هذا التوضيح التفصيلُ عند الحاجة، كما في قوله واصفاً قوى التخيل:

فقال لي الشيخُ هذا مضقّعٌ لسِنِّ يهذي كثيراً ومهما قاله ماننا
مموّه، كلُّ ما يأتي به كذبٌ ولستَ مستغنياً عنه وإنْ خساننا
جاسوسٌ نفسك في الجزئي منه ولم يزل على ذرِك العُلويّ مغواناً^(٤)

ولعله أدرك أن الأمر ما زال بعيداً، فصرّح بالمراد:

ورأس مال القوى العقلية اعتضدت به وقد يُشتفى بالسُّمِ أحياننا
قوى التخيل يعني، وهي كاذبة قد صحّ تلبيسُها عندي وقد باننا^(٥)

(١) البيت ٤٧ و ٤٨.

(٢) البيت ٧١ و ٧٢.

(٣) انظر «مهرن» رسالة حي بن يقطان ١ : ٨.

(٤) البيت ٢٦ و ٢٧ و ٢٨.

(٥) البيت ٢٩ و ٣٠.

ومن هذا التصريح حديثه عن القوة الشهوانية:

وذا رفيقٌ خسيسٌ عاهرٌ شرةٌ يدعو إلى اللؤمِ إسراراً وإعلاناً
فلا تُطعمه وخالف ما يشيرُ بهِ فإنه لكريمِ الطبعِ قدْ شاننا
يعني قوى الشهوة الرعناءِ فهي كما وصفتُ فاعزّمُ لها مَقْتاً وعِصياناً^(١)

وقد اختصر ما لا ضرورة له أحياناً كما في أقسام الموجودات:

وقال إذ قَسَمَ الموجودُ جملتَه ثلاثةَ حُدُها مثنى ووحدانا
مُركبٌ وبسيطٌ والبسيطُ على قسمين قد جعلنا حدين حدانا^(٢)

فقد أغفل أمر المركب، وهو «حدٌ يحوزه الخافقان، وقد أدرك كنهه، وترامت به الأخبار الجلية المتواترة»^(٣).

ويلفت النظر إيجاز ابن الهبارية الشديد في ميدان الكواكب. وذلك نتيجة التعقيد في الأصل النظري نفسه. من ذلك هذان البيتان:

وقال في السبعة الحيرى على حسبِ الـ تنجيم إذ عدَّ بِهَرَاماً وكيوانا
وقال في مسائل الشهب الثوابت من بُعدِ المسافة ما إنْ عدَّ عَنَاناً^(٤)

على أن ابن سينا أفاض في الحديث عن هذه الكواكب ومدنها وصفاتها^(٥).

(١) البيت ٣٢ و ٣٤ و ٣٥

(٢) البيت ٦٤ و ٦٥

(٣) «مهرن» حي بن يقظان ١ : ٧

(٤) البيت ١٠٢ و ١٠٤

(٥) انظر «مهرن» حي بن يقظان ١ : ١٠ - ١٣.

ولكن الشاعر التزم عبارة ابن سينا أحياناً، كما في قوله:

ومنهم أممٌ قد هُذبتٌ ولجّت مع الملائكة الأبرار أقراننا
جنٌّ وجنٌّ فهذا مع تَخْصُّصِهِ بالاجتنان وذا إذ كان حنّاناً^(١)

ولعلّ غموض رموز ابن سينا من دوافع التزام الشاعر النصّ النثري. ومما يؤكد ذلك أنّ ابن الهبارية غابت عنه تلك الرموز التي أراد ابن سينا منها: القوى المدركة، والقوى المحركة، فلم يستطع تبينها منذ البداية:

والكلُّ قرنان طيارٌ لسرعتِهِ وقُرْبِ إدراكِهِ الثاني وإن بانا
وسائرٌ غير طيارٍ يُنال به القريبُ يبعثنا منه ويغشانا^(٢)

وقد وقع الشاعر في التناقض أحياناً، كما في تصنيفه القوى الإنسانية:

فقوة العمل اليمنى مقاربةٌ من قوة العلم أخذانا وإخواننا
تروي عن العقل ما تروي وتكتبه وأخذها رحمةُ الفعّالِ نجّانا^(٣)

ثم قال:

وقسوة العقل في التحقيق كائنة على اليمين^(٤)

وفي النثر: قوة العلم هي اليمنى^(٥). فنحن أمام مشكلتين:

(الأولى) أنّه جعل قوة العلم اليسرى.

(والثانية) أنّه عبّر عن هذه القوة، فقال: قوة العلم مرة، وقوة العقل مرة أخرى وإذا

كان الفلاسفة قد أجازوا^(٦) تسمية كلتا القوتين - العاملة والعاملة - تسمية واحدة هي: قوة العقل، فكيف نحل المشكلة الأولى؟ لا شك أنّ ذلك تناقضاً ظاهراً.

(١) البيت ١٢٤ و ١٣٥

(٢) البيت ١٢٠ و ١٢١

(٣) البيت ١٤٠ و ١٤١

(٤) البيت ١٤٣

(٥) انظر «مهرن» حي بن يقظان ١ : ١٨

(٦) انظر «تهافت الفلاسفة» ص ٢٤١ - ٢٤٢

٤ - أسلوب الشاعر:

يلحظ المرء تبايناً بين النظم والأصل النثري. أما أسلوب ابن سينا غامض غريب مستغلق، بل هو أسلوب الفيلسوف العالم، وأما أسلوب ابن الهبارية فواضح قياساً إلى النص النثري، ولكنه لا يخلو من الكلمات الغريبة، التي ربّما كانت نتيجة تأثره بالغريب الوارد في الرسالة ونتيجة غموض بعض الرموز.

على أن النظم حفل ببعض الصور، فهو يشبه الاعتدال في تدبير القوى البدنية - الغضبية والشهوانية - بالنار والماء:

ولا تغالِبُهُمَا عُنْفًا يَسُوؤُهُمَا وداوِ هَذَا بِهَذَا تُحِي مَجَانَا
وَالنَّارُ بِالمَاءِ تُطْفَأُ كَمَا التَّهَبْتُ وَالنَّارُ تَكْسِبُ جُرْمَ المَاءِ إِسْخَانَا (١)

وقد عقب على انتقال «الصور» إلى أضدادها في عالم الكائنات:

لكنَّ أبا الكونَ حَفِظَ الثَّابِتاتِ لَهُ فبِالتَّعاقِبِ لا بِالثَّابِتِ انصَانَا
تَرَاحَمْتُ فِيهِ أَضدادُ فَمَا ثَبَّتَتْ فِيهِ كَمَا تَتْرُكُ النَّزَالَةُ الحَانَا (٢)

ولعل من أجمل هذه الصور تشبيه الكون، في أجياله المتعاقبة، بالبستان:

كَأَنَّهُمْ ثَمَرٌ يُجَنِّي وَتَخْلِفُهَا أَمْثالُهَا وَنَظْنُ الكونِ بِسْتانَا (٣)

وهكذا فقد حاول ابن الهبارية - الشاعر - فهم رموز «حي بن يقظان» ومعانيها، ونظم ما فهم. فإذا ما تعرّض عاد إلى النثر ليقترن منه أسرار الغامضة نظماً وتنسيقاً، فأوضح بعض الأمور وأبقى على غموض بعضها. على أن طبيعة الموضوع اقتضت ذلك الأسلوب العلمي وتلك الكلمات الاصطلاحية.

(١) البيت ٤٥ و ٤٦

(٢) البيت ٨١ و ٨٢

(٣) البيت ٩٨

ثانياً: التحقيق

١ - النسخة المخطوطة

في مكتبة «طوبقوبو سراي» نسخة وجيدة من نظم ابن الهبارية^(١) محمد بن محمد (-٥٠٩هـ) لرسالة ابن سينا «حيّ بن يقظان»، وهي ضمن مجلد مخطوط تحت رقم ٥/٣٢٦٨ في مجموعة «أحمد الثالث». ويعود تاريخ كتابة هذا المجلد إلى سنة ٥٨٠هـ فقد جاء في نهايته «علّقه العبد الفقير إلى رحمة الله محمد بن عيسى بن هياج الطبيب في ذي الحجة سنة ثمانين وخمسمئة». والنظم في تسع صفحات من القطع المتوسط وقد قام معهد المخطوطات العربية في القاهرة بتصويره^(٢).

وقد أشرت إلى التعليقات على النص بالحروف الأبجدية، وإلى الشروح والتفسيرات بالأرقام. كما أضفت بين معقوفين عنوانات جزئية توضح أقسام النظم وتسلسله. وقد أحلت إلى أوراق المخطوطة بأرقام بعدها خط مائل عند بداية كل صفحة.

٢ - نظم ابن الهبارية لحيّ بن يقظان

[لابن سينا]

١/ سئل الشريف الكامل نظام الشرف، مجد الأئمة ذو الحسين، أبو يعلى، محمد ابن محمد بن صالح العباسي، رضي الله عنه، نَظَمَ كلام أبي علي بن سينا في حيّ بن يقظان. فقال: لست من أهل ذلك العلم ولا تعاطيت فهمه قط. فالزِم ذلك امتحاناً، فأجاب بعد الامتناع، فقال: ^(٣)

(١) وهو من شعراء العصر العباسي الذين اجادوا نظم المتون في القرن الخامس

(٢) فهرس المخطوطات المصورة ١ : ٢٣٨ والأعلام ٧ : ٢٤٨

(٣) من البحر البسيط

[حيُّ بن يقظان]

- ١ - حيُّ بن يقظان^(١) ما حيُّ بن يقظانا سبحان موجد ذاك الشيخ سبحانا
- ٢ - شيخٌ من البلد القدسي^(٢) منشؤه سرى إلينا وحيانا فاحيانا
- ٣ - صافي نقي من الأقدار ما خلطت به العناصر^(٣) أقداء وأدانا
- ٤ - رأيته وأنا في رُفقة^(٤) جُعِلوا على وصولي إلى المقصود أعوانا
- ٥ - فراق لي إذ بدا لي حسنُ منظره وجئته لاتفاق الجنس عجلانا
- ٦ - أتيتُه مُستمدأ من فضائله معني يكمل من معناه نقصانا

(١) قوله «حي» يتعلق بالحس والحركة، فجعل الحس مشاراً به إلى العقلية، وجعل الحركة مشاراً بها إلى وجود ما بعدها عنه. وقوله «ابن يقظان» أراد به أن وجوده ليس بذاته، بل عن غيره إذ كان وجود الابن بوجه ما عن الأب، والأب أجل حالاً من الابن، فالحي يحتمل أن يكون نائماً وأن يكون يقظان، وحال اليقظة منه أجل من حال النوم، إذ النوم أشبه بالقوة، واليقظة أشبه بالفعل.

مجلة المجمع العلمي العربي ٢٩ : ٥٦٥ - ٥٦٦ (مقالة لمحمد صغير حسن المعصومي بعنوان: رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن سينا في المجلدين ٢٩ و ٣٠).. ورسائل الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا في أسرار الحكمة المشرقية (تحقيق مهرن) ٢ : ١ (الرسالة الأولى: رسالة حي بن يقظان مع شرح مختار). وقد أشار ابن سينا إلى (حي بن يقظان) في (رسالة القدر) ضمن رسائله في أسرار الحكمة المشرقية ٤ : ١ حيث قال: «وقلت لله من شيخ شبيه بحي بن يقظان، ولا أبعد أن يكونه، ولعل الذي بيده ملكوت كل شيء أن يعطيني بقاءً ثني يعود جذعا بعد تناء طال طولُه وتمادت مدته...»

(٢) العالم العقلي المقدس عن الدنس بأحوال الحسيات. «مهرن» رسالة حي بن يقظان ١ : ٢
(٣) العنصر اسم للأصل الأول في الموضوعات، فيقال عنصر المحل الأول الذي باستحالته يقبل صوراً تتنوع بها كائنات عنها إما مطلقاً وهو الهولي الأولي، وإما بشرط الجسمية، وهو المحل الأول من الأجسام التي يتكون عنها سائر الأجسام الكائنة بقبول صورتها. والمتأخرون من الحكماء على أن العناصر أربعة: النار والهواء والأرض والماء. تسع رسائل ص ٨٤ - ٨٥ وموسوعة اصطلاحات العلوم ٤ : ٩٦١ والمعجم الفلسفي ٢ : ١١١.

(٤) يريد بهم قواه التي هي له في البدن، وأراد ههنا ما يحتاج إلى الاستعانة به من جملتها خاصة فيما هو بصده، وذلك كالتهييل والوهم وما قبلهما من القوى المدركة من الحواس الظاهرة والحس المشترك. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤١٦ وشرح الشيخ أبي منصور لحي بن يقظان (مخطوط).

وقد شرح «مهرن» ١ : ٢ الرفقة بقوله: سائر قوى الإنسان التي لا بد له من الاستعانة بها في الخروج من القوة إلى الفعل.

- ٧ — فإذ رأني قريباً منه رَغِبْتُنا فيه دعانا وحيانا ونادانا
- ٨ / ٢ — لأنه والدٌ برّ يميلُ إلى أولاده لم يَزَلْ بِاللطفِ مَناننا
- ٩ — فقلتُ: مَنْ وابنُ مَنْ والدارُ أين وما الشأنُ الذي ليس يُرْجى غيرهُ شأننا؟
- ١٠ — فقال: إِنِّي فعالٌ^(١) وَجِدْتُ وإنْ أَقْلُ وَجِدْتُ لذاتي قلتُ بهتساننا
- ١١ — بَلْ مَنْ وَجودي عنه كاملاً أبداً لذاته فانا حيُّ بن يقظانا
- ١٢ — وموطني الملاء الأعلى المقدسُ عَنْ جنس وعن عُنصر ناهيك أوطاننا^(٢)
- ١٣ — سَجِيحِي^(٣) لأعقل ذاتي إذ تَعَقَّلَهُ^(٤) (أ) فَرَضُ أدين به والحرُّ مَنْ داننا
- ١٤ — وغايتي المبدأ الكلي^(٤) إنْ به وَجِدْتُ في العلم إيضاحاً وتبياننا
- ١٥ — وخصني دون غيري بالعلوم وَعَنْ عِلْمِي روى من روى حِفْظاً وإتقاننا
- ١٦ — فلم نزل نتناجى بالعلوم بلا لفظٍ ونَقْبَلُ ما بالفيض أعطانا

(١) أصل هذا الشطر: سلحي لا عقل داي اد لعقله.

(١) الفَعَالُ: العقل الفَعَالُ، وقد فسره ابن سينا بقوله: أما من جهة ما هو عقل فهو أنه جوهر صوري ذاته ماهية مجردة في ذاتها لا بتجريد غيرها عن المادة، وعن علائق المادة هي كل موجود. وأما من جهة ما هو عقل فعَال فهو أنه جوهر بالصفة المذكورة من شأنه أن يخرج العقل الهيلاني (كذا) من القوة إلى الفعل بإشراقه عليه. تسع رسائل ص ٨٠ - ٨١.

(٢) أي العالم العقلي المقدس عن الدنس بأحوال الحسيات. «مهرن» ١ : ٢.

(٣) السِيحَة: الذهب في الأرض للعبادة والترهب، وساح في الأرض يسبح سياحة وسيوحاً وسيحاً وسيحاناً: أي ذهب. وفي الحديث: «لا سياحة في الإسلام» أراد بالسياحة مفارقة المصار والذهب في الأرض «اللسان» مادة «سبح».

(٤) عِلَّةُ العِللِ، أي الله جل جلاله.

- ١٧- حتى انتهينا إلى علم الفِراسة^(١) ميزان الرّويّة فاحفظ ذاك ميزانا
 ١٨- فهو الوثيقة في علم الحقيقة إن لزمته لم تكن للشك خيرانا
 ١٩- وكيف [خيرة من] (أ) امسى يُحقّق تصحيحاً قياساً لرتبة وبرهاننا
 ٢٠- فكان فيه إماماً ثم قال: وهل يرجو تعقل مثلي مثلك الآننا
 ٢١- وانت في رُفقاء السوء^(٢) مُمتحنٌ مثل الأسير يعاني الصبر ألواننا
 ٢٢- وانت فان بهم إن لم يُغنك هدى وعصمة لم تزل خيران ولها نا
 ٢٣- فحين أبغضتهم من غير معرفة لسوء ما قاله اطرقت لهفاننا
 ٢٤- لأنهم يخدعونني (ب) بالمحال فكم ثوى بها جاهلاً قبلي وكم حاننا!
 ٢٥- هذا^(٣) يشير بما لا خير فيه وذا^(٤) ينهى عن الخير تسهياً وإهواننا
 ٢٦- فقال لي الشيخ هذا^(٥) مضغ لسنّ يهذي كثيراً ومهما قاله ماننا
 ٢٧- مموّة كل ما يأتي به كذبٌ ولست مستغنياً عنه وإن خاننا
 ٢٨- جاسوس نفسك في الجزئي (ج) منه ولم يزل على درك^(٦) العلوي معسواننا
 ٢٩ / ٣- ورأس مال القوى العقلية اعتضدت به وقد يُشفي بالسّم أحياننا

[قوى التخيّل]

٣٠- قوى التخيّل يعني وهي كاذبةٌ قد صحّ تلبّيسها عندي وقد باننا

(أ) سقطت من الأصل، والتصحيح من لُحوق في الحاشية.

(ب) كذا في الأصل.

(ج) في الأصل: الجزوي.

(١) أي علم المنطق. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٩: ٥٦٧

(٢) القوى البدنية

(٣) القوة الغضبية

(٤) القوة الشهوانية

(٥) قوة التخيّل

(٦) الدرك: من أدركت الشيء إذا طلبته فلحقته. «المصباح المنير» مادة «درك»

[القوى الغضبية]

- ٣١- وذا الرفيق^(١) إذا ما ثار ثائرُهُ حَسِبْتَهُ سَبْعاً أو خِلْتَّ شَيْطَانَا
٣٢- عن قوة الغضب الطَّيِّبِ أَخْبِرْنِي والطَّيِّبُ إِنْ لَمْ يُسْكُنْ عَادَ شَرَّانَا^(٢)

[القوى الشهوانية]

- ٣٣- وذا^(٣) [رفيق] (١) خَسِيسٌ عَاهِرٌ شِرَّةٌ يَدْعُو إِلَى اللُّؤْمِ (ب) إِسْرَاراً وَإِعْلَانَا
٣٤- فَلَا تُطِيعُهُ وَخَالِفَ مَا يَشِيرُ بِهِ فَإِنَّهُ لَكَرِيمِ الطَّبَعِ قَدْ شَانَا
٣٥- يَعْنِي قَوَى الشَّهْوَةِ الرَّعْنَاءِ فَهِيَ كَمَا وَصَفْتُ فَاعِزُّمُ لَهَا مَقْتاً وَعِصْيَانَا
٣٦- وَأَنْتِ مُمْتَحَنٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ^(٤) فَاهْجِرْهُمْ وَلَا تَرْضُضْهُمْ زَهْطاً وَأَخْدَانَا^(٥)

[العالم العقلي]

- ٣٧- وَارْحَلْ إِلَى وَطْنِي^(٦) وَاسْكُنْ بِهِ فَهَمُّ لَا يُرْتَضَّوْنَ لِذَاكَ الْأَرْضِ سَكَانَا
٣٨- يَا حَبِذَا الْبَلَدُ الْقُدْسِيُّ مِنْ بَلَدٍ وَحَبِذَا أَهْلُهُ أَهْلٌ أَوْجِيرَانَا
٣٩- يَعْنِي بِهِ الْعَالَمَ الْعُلْوِيَّ فَهُوَ كَمَا أَشَارَ مَا زَالَ لِلْأَبْرَارِ أَعْطَانَا^(٧)

(١) سقطت من الأصل

(ب) في الأصل: اللوم

(١) القوة الغضبية

(٢) أراد المبالغة من «الشر» ولم يرد في اللغة «شَرَّان»، وإنما ورد «شَرِير». و«الشَّرَّان» على تقدير فَعْلَان: دوابٌ مثل البعوض، وأحدتها «شَرَانة»، لغة لأهل السودان، وهو شيء تسميه العرب الأذى، شبه البعوض، يَغْشَى وَجْهَ الْإِنْسَانِ وَلَا يَعْضُ. «اللسان» مادة «شرر».

(٢) القوة الشهوانية

(٤) أي من القوى الثلاث: المتخيلة، والغضبية، والشهوانية.

(٥) الأخدان: جمع «خَدَن» وهو الصديق

(٦) أي العالم العقلي

(٧) الأعتان: جمع العَطَن، وهو للإبل كالوطن للناس. اللسان مادة «عطن».

- ٤٠- أَرْضٌ يَجِلُّ بِهَا مَنْ لَمْ يَغْمُ عَلَى لَطِيفِهِ كَدَرٌ يَوْمًا وَلَا رَانَا
 ٤١- وَقَالَ رَافِقُهُمْ^(١) حَتَّى تَفَارِقَهُمْ بِحُسْنِ مَسْ فَيَنْ الْيَنْ مَا أَنَا

[مداواة القوى الغضبية والشهوانية بالمنطق]

- ٤٢- تَوَسُّطاً وَاعْتِدَالاً فِي السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَامزِجْ لَهُمْ وَضْلاً وَهَجْرَانَا
 ٤٣- وَدَاوِ هَذَا بِهَذَا يُنْتَفَعُ بِهِمَا^(٢) وَاجْعَلْ لَهُذَا^(٣) عَلَى هَذَاكَ^(٤) سُلْطَانَا
 ٤٤- وَلَا تَكُنْ لَهُمَا لَيْناً يَزِيدُهُمَا بَغِيّاً فَمَنْ لَانَ فِي أَحْوَالِهِ هَانَا
 ٤٥- وَلَا تَغَالِبْهُمَا غَنَفاً يَسُوؤُهُمَا وَدَاوِ هَذَا بِهَذَا تُحْيِي مُجَانَا
 ٤٦- وَالنَّارُ بِالْمَاءِ تُطْفَأُ كُلَّمَا التَّهَيْتُ وَالنَّارُ تَكْسِبُ جُرْمَ الْمَاءِ إِسْخَانَا

(١) أي رافقُ القوى البدنية الثلاث المذكورة آنفاً.

(٢) أي سلط القوة الغضبية على القوة الشهوانية تستفد من كليهما.

(٣) علم المنطق.

(٤) القوة المتخيلة

[سلطة المنطق على قوى التخيل]

- ٤٧- وذا المَوْهُ^(١) فاهْجُرُهُ وَلَا تَيَقَّنْ^(٢) بما يقولُ وأو أعطاك أيماننا
 ٤٨- إلا إذا كنتَ بالميزان^(٣) مُعْتَضِداً فليس تُلْفِيهِ في الميزانِ حُوانِسا
 ٤٩- بَلْ صادقاً فاعتمده واعتقد، أبدأ فيما نفيده، تصديقاً وإيماننا
 ٥٠ / ٤- فحين جرَّبْتَهُم كانوا كما وُصِفوا وكان حالي بهم يجري كما كانا
 ٥١- أراحمي الله منهم إنهم سَفِلٌ^(٤) فقد بقيتُ بهم حَيْرانَ حَرَانَا^(٥)

[طلب العالم العقلي وتعويق البدن]

- ٥٢- وقال لي إذ رأني شَيْقاً قَرِماً إلى سياحته^(٦) للشُّوقِ حَنَانَا
 ٥٣- لا تَطْلُبْنَهَا فما في مثلها طَمَعٌ ما دمتَ في السجن لم يمكنكَ (١) إمكاننا
 ٥٤- مَقِيداً حَامِلاً عِبئاً تنوء بهِ يعني بذلك أجساماً وأبداننا
 ٥٥- فَإِنَّ أَمْرَكَ في دنيَاكَ مُخْتَلِفٌ على التفاوتِ إسهالاً وإحزاننا

(١) كذا الصواب. وفي الأصل: «لا يمكنك».

(٢) القوة المتخيلة.

(٣) اليقين نقيض الشك. والعلم نقيض الجهل. وَيَقِنُ يَتَّقَنُ يَقَنًا، وهو يَقِنُ. «اللسان» مادة «يقن».

(٤) علم المنطق.

(٥) السَّفَالَةُ: النُّذَالَةُ. وَسَفَلَةُ النَّاسِ وَسَفَلَتُهُمْ: أسافلهم وغوغاؤهم. وَالسُّفْلَةُ: السُّقَاطُ مِنَ النَّاسِ. يُقَالُ: هُوَ مِنَ السُّفْلَةِ، وَلَا يُقَالُ: هُوَ سَفَلَةٌ لِأَنَّهَا جَمْعٌ. وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: رَجُلٌ سَفَلَةٌ مِنْ قَوْمِ سَفَلٍ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَلَيْسَ بِعَرَبِيٍّ. «اللسان» مادة «سفل» و«تقويم اللسان» لابن الجوزي ص ١٢٧.

(٦) الْحَرَانُ: العطشان. «اللسان» مادة «حرر».

(٧) أي: سلوك سبيل العقل في اقتباس العلم وتحصيله.

- ٥٦- طوراً تُرَى فِي حَضِيضِ الْكُونِ مُنْقَمِساً تُخَالِ مَا بَرَى الْجُسَيْمِ (١) سَجَانَا
 ٥٧- تَبْنِي بِجَهْلِكَ جِسْماً لَوْ قَطَنْتَ لَهُ هَدَمْتَهُ قَائِلاً لَا كُنْتَ بُنْيَانَا
 ٥٨- وَتَارَةً مَفْرَداً عَنْهُ وَمُتَّصِلاً بِنَا (١) كَأَنَّكَ عَنْهُ عُدْتِ عُرْيَانَا
 ٥٩- وَلَيْسَ يَظْفَرُ مِثْلِي (٢) بِالسِّيَاحَةِ مَنْ يُمَسِّي وَيُضْحِي بِخَمْرِ الْجَهْلِ سَكَرَانَا
 ٦٠- فَامْرُخْ بِسَاحَتِكَ الَّتِي تَهَمُّ بِهَا (ب) مَا دَمْتَ فِي الْحَبْسِ لِلْمَكْرُوهِ نَدْمَانَا (٣)
 ٦١- فَحِينَ تَخْرُجُ مِنْهُ (٤) تَسْتَقِرُّ كَمَا تَرْجُو وَتَلْحَقُ بِي (٥) فَرِحَانٌ جَدُّلَانَا
 ٦٢- وَلَا تَرَاهُمْ (٦) وَلَوْ آثَرْتَ صُحْبَتَهُمْ مُنِعْتَ مِنْهَا (٧) كَفَى بِالْحَرْبِ خُسْرَانَا
 ٦٣- وَبَانَ لِي عِلْمُهُ بِالْكَلِّ (ج)

[تقسيم الموجودات وتركيبها من صورة وهيئولي]

- ٦٤- وَقَالَ إِذْ قَسَمَ الْمَوْجُودُ جَمَلَتَهُ ثَلَاثَةً حَذَمًا مَنِيًّا وَوُخْدَانًا (٨)
 ٦٥- مُرَكَّبٌ وَبَسِيطٌ وَبَسِيطٌ عَلَيَّ قَسَمِينَ قَدْ جُعِلَا حَذِينَ حَدَانَا (٩)

(١) في الأصل «الجسم». ولا يستقيم الوزن بها. كذا الصواب. وفي الأصل «لا يمكنك».

(ب) في الأصل: «فامرُخْ بساحتك اللاتي يهمن بها» والمعنى غير واضح
 (ج) بقية البيت ساقط من الأصل وكتب إلى جانبه في الحاشية: «كان بياض».

(١) أي متصلًا بالعالم تاركًا أمر بدنك

(٢) أي مثل العقل الفعّال

(٣) الندمان: بمعنى النديم

(٤) أي: من البدن

(٥) أي: بالعقل الفعّال.

(٦) أي ولا ترى قوى البدن.

(٧) أي من السياحة

(٨) الحدّ هو القول الدال على ماهية الشيء، أي على كمال وجوده الذاتي. والحدود الثلاثة ما تنقسم الموجودات الطبيعية إليه، وهي المركبات المحسوسات والهيولي والصورة. والمراد بالمركب الحد الذي يحوزه الخافقان إلى المركبات المحسوسات في عالمي الأرض والسماء، وقد أغفل الناظم التفصيل فيه، في حين أنه فصل في أمر البسيط. تسع رسائل ٧٨ و«المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٣٠: ٩٣ - ٩٤.

(٩) أي حد ما قبل المشرق وهو مستقر الصورة، وحد ما وراء المغرب وهو مستقر الهيولي. و«حداناء»: مكوّنة من الفعل «حدّ» واللف التثنية، و«نا» الدالة على المفعول. والحدّ الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر.

- ٦٦- وهو الهَيُولَى^(١) فإن بالصورة^(٢) اتّصلت الغَيْتَ رُكْباً عباديداً وركباناً^(٣)
- ٦٧- في الغرب والشرق تَلْقَى العَيْنُ دونَهُمَا^(٤) حُجْباً تَرُدُّ عِيُونَ الخَلْقِ عُمِيَانَا
- ٦٨ - لا يُذَرَّكَان ولا يَسْطِيعُ نَيْلَهُمَا من كان عن كَسْبِ ذاتِ العِلْمِ^(٥) كَسَلَانَا
- ٦٩ - وليسَ تَحْظَى بما أصبحتَ تَطْلُبُهُ ما دمتَ من ماءِ عَيْنِ الحَقِّ^(٦) صَدِيَانَا
- ٧٠ - فإن ظَفِرْتَ بِتلكَ العَيْنِ فُزِرْتَ بِهِ فإن فيها لما تَرْجُوهُ إمكَانَا

(١) قال ابن سينا في حدّ الهيولى: الهيولى المطلقة هي جوهر، ووجوده بالفعل إنما يحصل لقبول الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور، وليس له في ذاته صورة تخصه إلا معنى القوة. ومعنى قولي لها جوهر هو أن وجودها حاصل لها بالفعل لذاتها. ويقال هيولى لكل شيء من شأنه أن يقبل كمالاً ما وأمرأ ليس فيه، فيكون بالقياس إلى ما فيه موضوع. تسع رسائل ص ٨٣ - ٨٤.

(٢) المراد بحد الصورة هنا أنه الموجود في شيء لا كجزء منه، ولا يصح قوامه دونه مفارقاً له، ويصح قوام ما فيه دونه إلا أن النوع الطبيعي يحصل به كصورة الإنسانية والحيوانية في الجسم الطبيعي الموضوع له. وربما قيل صورة للكمال المفارق مثل النفس، فحده أنه جزء غير جسماني مفارق يتميز به وبجزء جسماني نوع طبيعي. تسع رسائل ص ٨٣.

(٣) الرُكْب والرُكبان لا يكون إلا لركاب الإبل. والعباديد والعبايد: الخيل المتفرقة في ذهابها ومجيئها، ولا واحد له في ذلك كله، ولا يقع إلا في جماعة ولا يقال للواحد «عبيد». وذهبوا عباديد: أي ذهبوا متفرقين. «اللسان» مادة «ركب» ومادة «عبد».

(٤) أي دون الهيولى والصورة

(٥) أي علم المنطق

(٦) علم المنطق أيضاً.

[تبديد الشكوك وصواب حكم المنطق]

- ٧١/٥ - فاغسل بها عنك أوساخ الشكوك وغض فيها فليست تُسرى مِنْ بَعْدُ غَطْشَانَا
 ٧٢ - وهو الذي نُثِلُّهُ (١) الميزانُ فاغذُ بِهِ بِمَا تَرَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَزَانَا
 ٧٣ - فليست تغرقُ في بخرِ العَمَى (١) أبداً وليست تُرهبُ أطفواداً وقيعانَا
 ٧٤ - والنفسُ (٢) في ظلماتِ الشكِّ والهِتَةِ والمرءُ مسا زال دونَ القَصْدِ حَيْرَانَا
 ٧٥ - لا يذْفَعُ الشكُّ عنهما غيرُ قوتِها فـــــــذلك الماءُ (٣) فافهمْ رمزَ نَجْوَانَا

[الهيؤى والصورة]

- ٧٦ - عقلُ الهيؤى (٤) به تقوى فأولُ ما تُسرى رِجَالاً كِرَامِ الطَّبَعِ غُرَانَا (٥)
 ٧٧ - إنَّ الهيؤى لِذَاتٍ مَظْلَمٌ فَإِذَا تَحَمَّلَ الصُّورَةَ الغُلوِيَّةَ اَزْدَانَا
 ٧٨ - مِنْ مغربيُّ جِلاهِ المَشْرِقِيُّ (ب) إِلَى أَنْ عَادَ كَالصَّبِغِ مَلءَ الغَيْنِ حُسَانَا (٦)

(١) في الأصل: نلته.

(ب) في الأصل: «من مغربي جلاه الشك إلى». والتصحيح من لَحَقَّ في الحاشية.

(١) أي لم تلبث في الجهل الشامل. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٣٠ : ٩٥
 (٢) النفس اسم مشترك يقع على معنى مشترك فيه الإنسان والحيوان والنبات، وعلى معنى مشترك فيه الإنسان والملائكة السماوية. فحد النوع الأول: أنه كمال جسم طبيعي إلى ذي حياة بالقوة. وحد النفس بالمعنى الآخر: أنه جوهر غير جسم هو كمال لجسم محرك له بالاختيار عن مبدأ نطقي أي عقلي بالفعل أو بالقوة، فالذي بالقوة هو فصل النفس الإنسانية، والذي بالفعل هو فصل أو خاصة للنفس الكلية الملكية. تسع رسائل ص ٨١.

(٣) علم المنطق

(٤) العقل الهيلولاني: قوة للنفس مستعدة لقبول ماهيات الأشياء مجردة عن المواد. تسع رسائل ص ٨٠

(٥) الطبع: هو كل هيئة يستكمل بها نوع من أنواع فعلية كانت أو انفعالية. تسع رسائل ص ٨٦.

(٦) الحُسَانُ: أحسن من الحسن. والجمع: حُسَانَات. «اللسان» مادة «حسن».

- ٧٩ - لأنها من مفيد الخير^(١) واهيبة سبحان من لم يزل بالخلق رحمانا
 ٨٠ - بها يتّم وبالتاليف بينهما عادت له التسعة الاعراض^(٢) اركانها^(٣)
 ٨١ - لكن ابي^(٤) الكون حفظ الثابتات له فبالتعاقب لا بالثبات انصانا^(٥)
 ٨٢ - تزاحمت فيه اضداد فمما ثبتت فيه كما ترك الأزالة الحانها^(٥)
 ٨٣ - فضل مفتحناً في كونه بهم^(٦) يكفيه من ذاك ما قاسى وما عانى^(ب)

[العوالم الأربعة]

- ٨٤ - وما تكوّن دون الزمهير اقا ليم تُعدُّ برأي العين عمراننا^(٦)
 ٨٥ - فمعدنّ ونباتّ والصوامتّ وال إنسانُ بالنطقِ حقاً كان إنسانا
 ٨٦ - والكلُّ منها هيولى حامل صوراً فقَدْ تشاكل في التحقيقِ حدانا
 ٨٧ - لكنّ توسطُ أجرام السماء إذا اخلصت رأيك تلقاهما وتلقانا
 ٨٨ - ونحنُ وهي إذا ما الصورة انبسطت على الهيولى على شكلٍ وإن باننا
 ٨٩ - مؤهلين لأعراض نلّم بها^(ج) من الحوادث نغشاهما ونغشانا

(١) في الأصل: «أبا»

(ب) في الأصل: «وما عانا»

(ج) في الأصل: «بهم»

(١) العقل الفعال

(٢) العَرَض عند المتكلمين والحكماء هو ما يقابل الجَوْهر. وأقسامه تسعة: الكم، والكيف، والابن، والوضع، والملك، والإضافة، ومتى، والفعل، والانفعال، والأعراض التسعة من المشهور بين الحكماء. «موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية» ٤: ٩٨٦ - ٩٨٧.

(٣) الركن: جسم بسيط هو جزء ذاتي للعالم مثل الأقلاك والعناصر، فالشيء بالقياس إلى العالم ركن. تسع رسائل ص ٨٥.

(٤) أي إن الكائنات الفاسدة لا تستقر فيها الصور.

(٥) الحان: جمع الحانة

(٦) دون الزمهير: عالم الهيولى. والأقاليم: هي المعدنية والنباتية والحيوانية والإنسانية.

[العالم العلوي وأقاليمه]

- ٩٠- وهكذا الحال فوق الزمهرير^(١) أقاليمٌ تُخال ببعض الوُصفِ إيانا
 ٩١- لأنهم فقراءٌ مثلنا أبداً إلى المفيد الذي بالفيض اغنانا
 ٩٢/٦- فماخذُ (١) الكائناتِ الفاسدات^(٢) معاً يُلقى عليها من الفعّالِ أحسانا
 ٩٣- لكنّ بواسطةٍ وهي السماءُ كما نحو السماءِ عن الفعّالِ مُبداننا^(٣)

[ترتيب العقول]

- ٩٤- وإنما يأخذ الفعّال مأخذه (ب) عن واحد هو مولاه ومولانا
 ٩٥- كلّ بمن فوقه يُحبى ويُعطى كما نُعطى فمعناه في التحقيق معانا
 ٩٦- لكنّ سكانَ دون الزمهرير غدا [إذ] انتقى لهم عادا وأداننا (ج)
 ٩٧- نظنّ معناه مُبداننا ونحسبهم بمرهم فيه بالإسراع قُرسانا
 ٩٨- كأنهم ثَمَرٌ يُجنى (د) وتخلّفها أمثالها ونظنّ الكونَ بستنانا
 ٩٩- والكلّ منّا إلى مُرساه مفتقرٌ لكنّ تخالف مُرساهَا ومُرساننا^(٤)

(أ) في الأصل: «فما حد».

(ب) في الأصل: «ما حده».

(ج) في الأصل: لكن سكان دون الزمهرير غدا. انتقالهم عادا وأدانا. والشطر الثاني من البيت مسكور، وغير واضح المعنى.

(د) في الأصل: «حنا».

(١) فوق الزمهرير: أي الأجرام السماوية.

(٢) أي الأنواع المعدنية والنباتية والحيوانية والإنسانية.

(٣) أي إن النور الذي هو الأمر العقلي، يأتي إلى الأجرام السماوية بلا توسط، ويأتي إلى الكائنات الفاسدة بتوسط السماوية. وانظر «مهرن» رسالة حي بن يقظان ١ : ١٠.

(٤) أي مُرسى قواعد السماويات ومُرسى قواعد الأرض.

[الأفلاك والأجرام السماوية]

- ١٠٠- وَنَحْنُ أَصْغَرُ أَجْسَاماً وَأَسْرَعُهَا تَنَقُّسُ أَمْراً كَمَا حَقَّقَتْ مِرَانِسَا (١)
- ١٠١- لِسُرْعَةِ الْقَمَرِ الْجَارِي وَخَفَّتِهِ وَجَعَلَهَا فَلَكَ الْأَبْرَاجَ مِيدَانَا (٢)
- ١٠٢- لَهُ قِصُورٌ إِذَا عُدَّتْ ثَمَانِيَّةً عِدَادُ أَجْرَامِهَا يَخُوبِينَ قُطْبَانَا (٣)
- ١٠٣- وَقَالَ فِي السَّبْعَةِ الْخَيْرَى عَلَى حَسَبِ التَّنْجِيمِ إِذْ عَدَّ بُهْرَاماً وَكِيُونَا (٤)
- ١٠٤- وَقَالَ فِي مَائِلِ الشُّهُبِ الثَّوَابِتِ مِنْ بُغْدِ الْمَسَافَةِ مَا إِنَّ عُدَّ عَنَّا (٥)
- ١٠٥- وَقَالَ أَدْنَاهُ مُحَدُودٌ يَبِينُ لَنَا وَحَدُّ أَعْلَاهُ إِنْ زُمْنَا أَعْنَانَا
- ١٠٦- الْعَدُّ وَالْحَدُّ مَا لَا يُسْتَطَاعُ بَلَى قَدْ عَدَّ أَلْفًا وَيَبْقَى (١) مِنْهُ أَقْوَانَا (٦)
- ١٠٧- وَوَالَهُ مُدُنٌ إِذَا لَا اخْتِلَافَ لَهَا وَلَا آتَى بَعْضُهَا بَعْضاً وَلَا دَانَا (٧)

(١) في الأصل: «ويتقأ».

- (١) أشار بذلك إلى فلك عطارد، وواجب أن يكون ساكنه الذي هو عطارد أصغر جثة مما تقدمه، وهو القمر، وأبطاً حركة منه. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٣٠ : ١٠٤.
- (٢) أشار إلى منطقة فلك الكواكب الثابتة التي تسمى فلك البروج «المعصومي» ٣٠ : ٢٨٨ - ٢٨٩.
- (٣) يشير بذلك إلى فلك القمر. والقصور الثمانية هي الأجرام التي ينقسم إليها فلك القمر، ويشتمل عليها بموجب ما وجد له من الحركات، فإنه وجد له ثماني حركات، فوجب أن يكون لكل حركة منها جرم على حدة. «مهرن» رسالة حي بن يقظان ١ : ١٠٤ و«المعصومي» ٣٠ : ١٠٤.
- (٤) بهرام: المريخ، وكيوان: زحل. وبقية السبعة: القمر، وعطارد، والزهرة والشمس، والمشتري. «مهرن» ١ : ١١ - ١٢ و«اللسان» مادة «بهر» و«كون».
- (٥) أشار بذلك إلى فلك الكواكب الثابتة. «المعصومي» ٣٠ : ٢٨٨.
- (٦) أشار إلى مقدار بعد فلك الكواكب الثابتة عن الأرض، وعظم مقدار دور سطحه، إذ كان بعده عن الأرض، أي بعد سطحه الأدنى، خمسة وستين ألف وثلاثمائة ألف وسبعة وخمسين ألفاً وخمسمائة ميل، فيكون قطره مئة ألف وثلاثين ألفاً وسبعمائة ألف وخمسة عشر ألف ميل. فأما بعد سطحه الأعلى فلا سبيل إلى معرفته كما أن عدد الكواكب الثابتة لا يعرف عددها. ولا تصل قوة البشر إلى تحصيلها في جملة إلا أن الذي أمكن قياسه وعرف منها عدده ألف واثنان وعشرون كوكباً «المعصومي» ٣٠ : ٢٨٨ - ٢٨٩.
- (٧) أي بقعة الكواكب الثابتة لا تنقسم إلى مدن، أي هي أجزاء يختصر كل جزء منها بحركة، وتحقيق ذلك أن حركاتها كلها حركة واحدة، عرف ذلك من أنها لا يقرب بعضها من بعض، بل هي محفوظة الأبعاد، كأنها كلها مركوزة في جسم واحد يتحرك هو، فتحركها بحركته تلك «المعصومي» ٣٠ : ٢٨٩.

- ١٠٨- مركوزة في فضاء غير منقسم إلا بوهك (١) تقديراً وإمكاناً (١)
- ١٠٩- كقسمة الفلك السدوار ليس لها فيه اجتماع ولا يالوه إذعاناً
- ١١٠- يقضي ترددها فيها بخيرتها (٢) وبعده تاسع (٣) للكل قد صاناً
- ١١١- وهو المحيط بها خال وليس له إلا ملائكة رده ملاًنا (٤)
- ١١٢- وليس منقسماً أيضاً إلى مدين والله يامرنا فيه وينهاننا (٥)
- ١١٣/٧- فجزمته آخر الأجسام ليس لها من بعده مطلب فافطن لغزانا (٦)
- ١١٤- وذلك الملاء الأعلى فليس ترى وراءه خالياً كلاً وملاًنا (٧)

[الإسقاطات الأربع]

١١٥- فإن توجّهت نحو المشرقين رأيت في صورة الشمس للأسطقس اعياناً (٨)

(١) في الاصل: «توهك».

- (١) أشار بذلك إلى منطقة هذا الفلك، التي تسمى فلك البروج، وقد قسموه في التوهم على اثني عشر قسماً، سمي كل قسم منها باسم، وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث. «المعصومي» ٣٠ : ٢٨٩.
- (٢) أشار بذلك إلى حركات الأقسام السابقة المستديرة التي تبدأ من موضع وتنتهي إليه بعينه. فكان الكواكب بدورانها فيها وانتقالاتها بأعيانها مترددة فيها. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٣٠ : ٢٨٩.
- (٣) أي الفلك التاسع المسمى بالفلك المستقيم. «المعصومي» ٣٠ : ٢٩٠.
- (٤) أي عمارة الروحانيين من الملائكة لا ينزله البشر ومنه ينزل على من يليه الأمر والقدرة، وليس وراءه من الأرض معمر «المعصومي» ٣٠ : ٢٩٠.
- (٥) أي لا مدن فيه، ولا ينقسم إلى أجزاء. وأمر الله الذي هو الأمر المطلق، وقدره الذي هو موجب القضاء والحتم، ينزل على سائر الموجودات يتوسط هذا الفلك التاسع ونفسه وعقله. «المعصومي» ٣٠ : ٢٩٠ - ٢٩١ و«مهرن» رسالة حي بن يقظان ١ : ١٢.
- (٦) أشار بذلك إلى تنامي الأجسام عنده «المعصومي» ٣٠ : ٢٩١.
- (٧) دل بذلك على أن لا خلاء ولا ملاء يلي هذا الفلك، بل عنده منقطع الأجسام، وسطحه ينتهي إلى لا شيء «المعصومي» ٣٠ : ٢٩١.
- (٨) الأسطقس: الجسم الأول الذي اجتماعه إلى أجسام أولى مخالفة له في النوع يقال له أسطقس لها، فلذلك قيل إنه آخر ما ينتهي إليه تحليل الأجسام، فلا توجد فيه قسمة إلى أجزاء متشابهة. والمراد بالاسطقسات الأربع: صورة الأرض، وصورة الماء، وصورة الهواء، وصورة النار. تسع رسائل ص ٨٥.

[اتصال العوالم]

- ١١٦- حتى ترى صوراً شتى مركبة من المعادن والأشجار الوانا
١١٧- وبعده حيوان صامت وله ما في المعادن والأشجار أفنانا
١١٨- وبعده عالم الإنسان وهو كما علمت باق على التجريد إمكانا
١١٩- لأن صورته إن جردت بقيت وليس يبقى على التركيب أزمانا^(١)

[قوى الإنسان وحواسه]

- ١٢٠- والكل قرن ان طيار لسرعتيه وقزب إدراكه الثاني وإن بانا^(٢)
١٢١- وسائر غير طيار ينال^(٣) به القريب ينغثنا منه ويغشانا^(٣)
١٢٢- وعاد يذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ومن بالإفك اغوانا^(٤)

(١) في الأصل: «تنال»

- (١) يشير إلى فناء المادة «الهيولى» وخلود الصورة، وأن هذا الخلود في تجردها من الهيولى.
(٢) المراد بالقرن الطيار القوى المدركة من الإنسان، وشبه الإدراك بالطيران لشدة حركة الطيران، والوصول بها إلى الأشياء البعيدة. «مهرن» ١٤ : ١.
(٣) أراد بالقرن السائر القوى المحركة من الإنسان. وشبه الحركة بالسير لبطء حركة السير، والوصول بها إلى الأشياء القريبة. وفي النثر جعل ابن سينا القرنين للشيطان، لبعده عما وصف به العقل الإنساني من التجريد والبقاء، والشيطان هو البعد. «مهرن» رسالة حي بن يقظان ١٤ : ١.
(٤) أراد القوة الغضبية والقوة الشهوانية والقوة المتخيلة. وقد جعل القرن السيار في قسمين هما القوة الغضبية والقوة الشهوانية، وبينهما جار قائم، وجعل محل قسمي هذا القرن السيار ذات اليسار من المشرق دلالة على خسة مرتبتهما وقصورهما عن القرن الآخر الطائر الذي جعل محله ذات اليمين، وأراد به القوة المتخيلة من الإنسان. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٠ : ٢٩٥.

- ١٢٣- وقص من امر أصحاب البريد^(١) وما
 ١٢٤- تُنهي إلى مُذرك^(٢) ما زال مُشتركا
 ١٢٥- تُنهي إلى ملك^(٥) يَهْوَى العلوم ولا
 ١٢٦- إدراكه الكُل مغزاه ومطلبه
 ١٢٧- أسيرهُ الدهر محفوظ تجاربه
 ١٢٨- وكرّ يشرح من أمر الثلاثة^(٦) ما
 ١٢٩- والعقل يزجرها عما تُشير به
 يُنهون^(٢) مما رأوا حقاً وعرفنا
 تُنهي إلى حافظ^(٤) ما زال خَوَانَا
 يهوى كماهـ لاجهم ذراً وعقيانا
 تراه بالعلم والإدراك فزحانا
 وربما فضّل المسكين [سجّاننا]^(١)
 يهذي بسسه كلهم إنما وطغيانا
 لولاه أهلكنا عدواً وأودانا^(٧)

[تضليل قوة التخيل]

- ١٣٠- وقال في قوة التخيل عادتُها
 ١٣١- وتحسب المبدأ الأعلى لغفلتها
 ١٣٢- ولا ترى النفس بعد الجسم باقية
 ١٣٣- ولا معاند ولا رب يُدبرها
 تكذيبها العقل يكفي ذاك نقصانا
 جسماً فتعبد أصناماً وأوثانا
 وتحسب الجسم في التركيب جُثماناً^(٨)
 وحسبها سُخْفُ هذا الرأي خسرانا

(١) ساقطة من الاصل.

(١) أي الحواس الخمس.

(٢) الإنهاء: الإبلاغ.

(٣) أي القوى المدركة من الإنسان، وهي الحس المتحرك.

(٤) أي القوة الحافظة، وهي التي تسمى الخيالية.

(٥) أي النفس التي عليها أن تدرك الجميع.

(٦) أي القوى الثلاث الأنفة الذكر.

(٧) العدو: الظلم. وأودانا: أهلكنا.

(٨) الجُثمان: بمنزلة الجُثمان، جامع لكل شيء تريد به جمعه والواحد. وقيل الجُثمان: الشخص. والجُثمان: الجسم أو الجسد. «اللسان» مادة «جثم».

[القوى المدركة والمحركة]

- ١٣٤/٨ - ومنهم^(١) أممٌ قد هُذِبَتْ وَلَجَتْ مع الملائكة الأبرارِ أقراناً^(٢)
 ١٣٥ - جِنٌّ وَجِنٌّ^(٣) فهذا مع تَخْصُّصِهِ بالاجتنانِ وذا وإذ كان حَنَاناً
 ١٣٦ - لأنها تركت للعقلِ عاداتها وَعَدَّتِ الطيشَ للذاتِ بُغياناً
 ١٣٧ - وبعدَ إدراكِكِ الجِسْمِيّ فاسعِ له تَصِلُ بإدراكِكِ العَقْلِيّ أقراناً

[النفوس الناطقة]

- ١٣٨ - وبعد ذلك^(٤) إقليمين (أ) أهلها ملائِكٌ (ب) لَمْ يَرَوْا لله كُفْراناً^(٥)
 ١٣٩ - فالناطقاتُ كما تَدْرِي ملائِكَةُ الـ أَرْضِينَ قِسمانٍ للرحمنِ قَدْ داناً^(٦)

(أ) كذا في الأصل

(ب) كذا في الأصل. وقد صرّحها لضرورة الوزن.

(١) أي من القرنين

(٢) أي إن من هذه القوى المدركة والمحركة طوائف وجماعات تهذبت وتأديبت بضرب من التأديب حتى قاربت الملائكة. ويعنى بالملائكة كل جوهر عقلي مدرك للعقول. والملائكة الأرضية هي النفوس الناطقة العاقلة البشرية. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٣٠ : ٤٢٨.

(٣) الجِنُّ: القوى المتعقلة من الحواس والتخيل وغير ذلك، وسماها جنًا لاجتنانها واستتارها عن المعقولات. والجِنُّ: القوى المحركة أو القوة الغضبية والشهوانية اللتان هما شعبتا القوة النزوعية. والحُنُّ من الحنين. والجِنُّ: حي من الجن أو سفلة الجن وضعفاؤهم، أو خلق بين الإنس والجن. وعبر عن النزاع بالحن، وكان القوة الشوقية حائنةً ونازعة إلى استجلاب اللذيذ واستدفاع المؤذي. «مهرن» ١ : ١٧ و«المعصومي» ٣٠ : ٤٢٩ و«القاموس المحيط» مادة «حن».

(٤) أي بعد القرنين.

(٥) الإقليمان: النفوس الفلكية والملا الأعلى.

(٦) أي النفوس الناطقات قسمان: قوة العلم وقوة العمل.

[قوة العمل وقوة العلم]

- ١٤٠- فِقْوَةُ الْعَمَلِ الْيُمْنِي (١) مِقَارِبَةٌ مِنْ قُوَّةِ الْعِلْمِ اخْتِدَانًا وَإِخْوَانًا
 ١٤١- تَرَوِي عَنِ الْعَقْلِ مَا تَرَوِي وَتَكْتَبُهُ وَأَخْذَهَا (أ) رَحْمَةً الْفَعَالِ نَجَانًا
 ١٤٢- لَكِنْ تَدْبِيرُهَا الْأَجْسَامَ يَشْغَلُهَا فَقَدْ غَدَا رَأْيُهَا بِالْجِسْمِ وَسَنَانًا (٢)
 ١٤٣- وَقُوَّةُ الْعَقْلِ فِي التَّحْقِيقِ كَأَنَّهَا عَلَى الْيَمِينِ (ب)
 ١٤٤- وَالْإِنْفِصَالُ اتِّصَالٌ بِالْقَدِيمِ وَلَوْ صَحَّ الْفِرَاقُ الَّذِي يَأْتِي لِأَرْضَانَا (٣)

[النفوس الفلكية]

- ١٤٥- وَدُونَهُ خَدَمٌ سُمُّوا مَلَائِكَةً وَقَدْ تَخَالَفَ مَغْزَاهُمْ وَمَغْزَانَا (٤)
 ١٤٦- فَمَا تَرَى قَرِمًا فِيهِمْ وَلَا نَهِيمًا وَلَا تَرَى نَزِقًا فِيهِمْ وَعُضْبَانَا (٥)
 ١٤٧- وَيَسْتَحِيلُ بِلَا شَكِّ تَجْرُدَهُمْ عَنِ الْهَيْوَلِيِّ فَحَقُّ ذَاكَ إِيْمَانًا (٦)
 ١٤٨- فَإِنَّ تَرْكِيْبَهُمْ لَا شَكَّ أَسْعَدُهُمْ إِذْ كَانَ تَرْكِيْبُنَا لَا شَكَّ أَشْقَانَا
 ١٤٩- وَنَحْنُ ضِدَانٌ فِي التَّرْكِيبِ إِذْ وَجِدَا وَإِنْ تَوَافَقَ فِي تَرْكِيْبِنَا أَسْمَانًا (٧)

(١) في الأصل: «واحدتها»

(ب) بياض في الأصل

(١) في النثر قوة العلم هي اليمنى لشرفها وفضلها على قوة العمل. انظر «مهرن» حي بن يقظان ١ :

١٨

(٢) الوسنان: النعسان. والوسن: أول النوم

(٣) إشارة إلى العقول المفارقة للمادة. والقديم: المبدأ الأول واجب الوجود.

(٤) إشارة إلى النفوس الفلكية المباشرة للتحريك، فإن القرب من المبدأ الأول هو الاستكمال، وقرب كل شيء منه كونه على كماله الخاص.

(٥) أي إن هذه النفوس الفلكية منزهاة من القوى الأرضية الغضبية والشهوانية.

(٦) أي ليست مجردة عن المادة كل التجريد، بل ملابسة لها ضرباً من الملابسة.

(٧) أي النفوس الناطقة والنفوس الفلكية.

[الملا الأعلى]

- ١٥٠- وبعدهم ملا أعلى لأنهم يرون ما لو رأينا لأغشانا^(١)
١٥١- منزهون عن التركيب ليس لهم منه حجاب به يلقون أشجانا^(٢)
١٥٢- هم الوسائط لطف الله يشملنا بهم ويغشاهم فيضاً ويغشانا^(٣)
١٥٣- بها اهتدينا ولولا نور بهجتها ما كان أغفلنا عنه وأعمانا
١٥٤- لا شيء اللف منها إن من عرفوا القديم أصفى جميع الخلق أذهانا^(٤)

٩/ هذا آخر نظمه في حي بن يقظان من كلام أبي علي بن سينا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) وهو ثاني الإقليمين اللذين أشار إليهما آنفاً.

(٢) إشارة إلى تجرد ماهيات الملا الأعلى، أي العقول الفعالة المفارقة للمادة أصلاً، من الهيولي، وقربها من المبدأ الأول والشجن: الهم والحزن. والجمع أشجان.

(٣) أي إن المبدأ الأول يفيض على الملا الأعلى (العقول الفعالة المفارقة للمادة أصلاً). والملا الأعلى يفيض على النفوس الناطقة.

(٤) أي إن الملا الأعلى لقربه من المبدأ الأول وصف ببعض ما يوصف به. انظر «مهرن» رسالة حي بن يقظان ١: ٢٠ - ٢١.

فهرس المصادر والمراجع

- ١ - الإشارات والتنبهات، ابن سينا (مع شرح نصير الدين الطوسي): تح. د. سليمان دنيا، دار المعارف بمصر ١٩٥٧ - ١٩٦٠ م.
- ٢ - أصول الفلسفة الإشرافية، د. محمد علي أبو ريان: ط ٢، دار الطلبة العرب، بيروت ١٩٦٩ م.
- ٣ - الأعلام، خير الدين الزركلي: ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠ م.
- ٤ - تاريخ حكماء الإسلام، البيهقي: دمشق ١٩٤٦ م / ١٣٦٥ هـ.
- ٥ - التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (دراسات لكبار المستشرقين): ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط ٢، القاهرة ١٩٤٦ م.
- ٦ - تسع رسائل (في الحكمة والطبيعات)، ابن سينا: ط ١، مصر ١٩٠٨ م / ١٣٢٦ هـ.
- ٧ - تقويم اللسان، عبد الرحمن بن الجوزي: تح. د. عبد العزيز مطر، ط ١، المجمع العلمي العراقي ١٩٦٦ م.
- ٨ - تهافت الفلاسفة، الغزالي: تح. د. سليمان دنيا، دار المعارف بمصر ١٩٤٧ م.
- ٩ - حكمة الإشراف، السهروردي: شرح قطب الدين الشيرازي، طهران.
- ١٠ - حي بن يقظان، لابن سينا، وابن طفيل، والسهروردي: تح. أحمد أمين، دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م.
- ١١ - خريدة القصر (القسم العراقي)، العماد الأصفهاني: تح. محمد بهجة الأثري، ١٩٦٤ م / ١٣٨٤ هـ.
- ١٢ - دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية): نقل محمد ثابت الهندي وزملائه، ١٩٣٣ م.
- ١٣ - رسائل الشيخ الرئيس أبي علي في أسرار الحكمة المشرقية، ابن سينا: تح. مهن، ليدن ١٨٨٩ - ١٨٩١ م، وأعيد طبعه بالأفست في بغداد ١٩٦٧ م.

- ١٤- الصادح والباغم، ابن الهبارية: تح. د. عزت العطار، مصر ١٩٣٦ م.
- ١٥- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة: تح. د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥ م.
- ١٦- فهرس المخطوطات المصورة، فؤاد سيد: دار الرياض ١٩٥٢ م.
- ١٧- القاموس المحيط، الفيروزآبادي: مصر ١٢٣٠ هـ.
- ١٨- كشف الظنون، حاجي خليفة: تصحيح محمد شرف الدين يالتقاي وزميله، ١٩٤٣ م / ١٢٦٢ هـ.
- ١٩- لسان العرب، ابن منظور: تح. د. عبد الله الكبير وزملائه، دار المعارف، مصر ١٩٧٩ - ١٩٨١.
- ٢٠- مجلة مجمع اللغة العربية (المجمع العلمي العربي سابقاً):
- أ- رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن سينا: محمد صغير المعصومي، مجلد ٢٩ و ٢٠ دمشق ١٩٥٤ - ١٩٥٥.
- ب- الشطرنج والترد في الأدب العربي القديم: د. محمد فائز سنكري طرابيشي، مجلد ٦٥، دمشق ١٩٩٠.
- ٢١- مجلة المشرق (رسالة الطير لابن سينا): لويس شيخو، السنة الرابعة، بيروت ١٩٠١ م.
- ٢٢- المصباح المنير، المُقْرِي الفَيّومي: المكتبة العلمية، بيروت.
- ٢٣- المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا: بيروت ١٩٧٩ م.
- ٢٤- منطق المشرقين، ابن سينا: المكتبة السلفية، القاهرة ١٩١٠ م / ١٢٢٨ هـ.
- ٢٥- موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية (كشاف اصطلاحات الفنون)، التهانوي: بيروت ١٩٦٦ م.
- ٢٦- نتائج الفطنة في نظم كلية ودمنة، ابن الهبارية: تح. نعمة الله الأسمر، بعبدا ١٩٠٠ م.

٢٧- وفيات الأعيان، ابن خلكان: تح. د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٩ -
١٩٧٨.

٢٨- Geschichte der Arabischen Literatur von Prof. Dr. C. Brockelmann: Leiden 1937.

العود بحيث ينفذ عن اوجها مما في غير ابدانها فاصلا من اجزاء النفس في ابدانها من
 العيبرات التي هي سائر الاحتمالات العظيمة الى الجبر والشر والحوادث التي لها في ارضيتها
 اسباب كالاتلال والرياح والفتور والجموع وقد ذكرنا قبل هذا المعنى ثم ميزنا النفس ان
 يحدث منها في ابدانها حيران فتمت بالفرج يكون نسبيا لوضع كثير من الالام وبرودة قلوب الغم
 وللخوف فيكون نسبيا للامراض والهلاك وقد يكون الالام النفسية اسباب الرياح
 يحدث بحركات غير اخلاصا لحدوث هذه الابدان العنصرية كلها في الاصل والبطر والغير
 لجميع ذلك فالقانون ان الفاعل هو الطاعة العنصر لا محاله وقد ذكرنا ان النفس ان
 يفعل في العنصر شيئا وعلى مجرد فعل الطبيعة ولكن الاسباب الطبيعية المتكاملة فلا
 يعجز ان يكون نفس حرة بل انما ياتر ما هذا يكون كلما جال النفس في ذكرنا فاعلم
 العينية والدمية وقد ذكرنا هذا ايضا ونسبته ان تعلم العنصر منه فمتايد من هذا الباب
 فان العنصر يعتقد وجود شيء مع اعتقاده ان لا يوجد اول دبرته فيبعث الوجود ذلك الاعتقاد
 فدخل مزاج ذلك الشيء والالوهام الى سبب البعض الالام ان صحت فعمل هذا السبب في
 مما لا يبعد وليس فانس موجب امتنع بل العباس موجب امكانه وان كان بلاهة وقد ذكرنا
 افلاطون شعبة من هذا الكتاب منه من بيتينا وهذا غاية ما اردنا ان نذكره كما تقدم
 وقتنا بما وعدنا على سبيل العجب او على سبيل احساب البراهين الصعبة المبهمة على ركاب
 كثره القياس والكمالات من العود تحت الاولي بل ذكرنا في هذا الايضاح والاختصار
 ونقرب اليقينة اننا الى الاظهر فهو معدود ونسأل الله تعالى ان يثبتنا الزرع والزالل
 والاستبصار بالاراي الاطل ويعتقنا العجب فيما يرى ونفعل
 والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين
 علقه العبد الفقير الى رحمة الله تعالى محمد بن علي بن
 ابن هبة العتيبي في ذي الحجة سنة ثمانين وخمسين مائة

قد والله يسر ميل الحق اولاده لمزل باللفظ متاناً
 فقلت من فأن من والقد انزل وما الشان الذي شرحه مثلاً
 فقال اني فعال ويحذف وقل اهل ويحذف لثاني قلت نعمنا فانا
 بل من وجودي عنه كما لا ابد له انه فلما حتى ينصف ظاناً
 ويصنع الملا اهل اللقد من عن جئت وعن عن صرنا بهلك او طناً
 صح لا عقول او اي عقوله در صراحتين وبالبر من د انا
 ونا الى اللذاه على ان من جففت العرا لثبات اللوم انا
 مخصني ووز عن كمال العلوم وعن علمي روي ورحم فطاولنا
 فانه لنتائج اللوم بل لا نعلم ونقبل من اللقبض اعطانا
 حتى انفقنا الى علم الفرائض من ان الرويه نالج فطد الميزان
 فهو السيف في علم الحقيقة بل انتم لم يكن لثبات خبرنا
 وكذا امسى لم ينفق بضميمة انا لثباته وبرهاننا
 وكان في له امانه قال وهل يجرنا جعل مثل تلك الا
 وان في وفاء البسوة بضم مثل الاخر معاني الله والوايانا
 وانما نزل من ان لثباته من وعنه بل من خبر ان ولساننا
 خبر انفسهم من عن وعنه لسوء مما قاله اهل بيت الحفصا
 لانهم لم يندعوا في المجال في خبر نوي يعاجل املا في امرحانا
 هذا خبر بالخبر فيه وذا منه عن الخبر منه هلا وامرنا
 فعلا لا الشبه هذا منقطع ليس هو له او منها قاله بما نا
 منوه كماله من كذب طست مستغيباتنه وان حاننا
 حلتون ففعلت في الجزوي منه وكذا على درك العلوي معوانا

نجيز حزينهم حسنا وانما وصفوا وكان طليهم بجزا حنا
 اراحي الله منهم انهم سفل فقد بعثت بهم جزا حنا
 وقال لي اذا اني شيقا وما ايل شيئا حبه للشوق حنا
 لا تطلبها لانا في مثلها طمع ما امنت في البحر لا مكل احنا
 مقيدنا جلا عينا سوبه يعني في اللاجتاة او اريد انا
 فان امرتك في دنياك مختلف على الفان باشه الا واحد انا
 طور انري في جيفض الكون في حنا لانا ما اري الجسم حنا
 تين في هلك جيتا الوطنه هدمته فادلا لا كسنا
 وانه مفرد اعنه ومضلا نانا كانك عنه عدت عز انا
 وليس يظفر مثل التبا حنا من لسي ولفي حنا الجهد سحر انا
 ما نرج سلبك الا في لمر بما امنت في الجسر للمكن وهدانا
 حنا في حنا منه مستقر ما ارجوا طلي في فرجان جسد انا
 ولا اراهم فلو ارتت في حنا ومنع منها حنا في الحروب حنا
 وبارك الله بالصل

وقال اذ صبر الموجد حله بلسه حدها سني ووجد انا
 من حنا ونبطه في السرة لعل في حنا حنا حنا حنا
 وهو الحسب في الصور الصلح الحنا حنا حنا حنا حنا
 في الزيب والشرق في حنا حنا حنا حنا حنا حنا
 لا در كان لا مستطوع لهما من كان حنا حنا حنا حنا
 وليس حنا
 فان طعرت بلدا حنا حنا حنا حنا حنا حنا حنا حنا

فأحد الاستنادات الفاعلات معاً لفاعليهما من الوعال اجزاء
لنستعمل في استظهارها التماساً نحو التماس عن الفعل مسداً أنا
والتماس هذا الفعل أحد من لجد فهو مولاة ومو لا أنا
كل من فوته محي وعطي كما عطى تغناه في العجوة معنا أنا
لكن من كان دون الهمم دوناً انقلهم عداواً أنا
نظن معناه وأنا وحسبهم فمهم فيها الانسراع فربنا أنا
كأنهم ثم رخصنا وكلمها امثالها ونظن السكون نسينا أنا
والربنا المرساة منفق لغير تخلف رسالها وبرئنا أنا
ولم اصغر اجيباً ما انزعمها سلا لظا فقفاً مسداً أنا
لنرعد القمر الجدي وحده وجعلها انكس الابراج مسداً أنا
له قصور لظا قد تشبهاً عدا احرامها لظوياً وطناً أنا
وقال في السبع الحمرى على جيب الشحم لا تعد بهراماً وكيوا أنا
وقال في ظل الشهاب التراب من بعد المشافهة ما ان غلغلتنا أنا
وقال ادما محمد وسرنا وجهه لظوياً مناه اعنا أنا
العدو للمنا لا يسطع على قد عدنا لظوياً وقمانه لظوياً أنا
وللمن لا يخلد لظوياً ولا ان يعضها اعضاً ولا أنا
من كون في فضله غير متعصب الا وهمل بقدر اوامركا أنا
لعمرة الفلك القدار ليس لها في هذا اجتماع ولا بالوه اذعنا أنا
فخني برذها في الجبريقا وسعد لمتع الكحل قد صبا أنا
ومن الخطبها حال ولا يبرك الا لاجك ررون مسداً أنا
فان من متعصاً ايضاً المدين والله يانرا فيد ونهسا أنا

وشمهم أتم فدمدمت مع الملايكة الإبرار أقر أنا
 جز ومن هذا مع حصصه للاجتناب في الأكل حيا نا
 لا يمارك العقل علاقتها وصدق الطير للذات بعدا نا
 وبعد لا يكمل للنسي فامع له يصل بلا ذك العفا نا
 وبعد ذلك القلمين الله اعليك بروا لله كعرا نا
 فالاطمات كهدى ملايكة الارضين فحان للاخر قد نا
 فتعود العمل النسي مقاربه بزقود العلم اخدا نا واخوان نا
 وروى عن العقل ما روى وملكه واحدها رحمة الفعالي خطا
 لخص بها الاجسام تشعلها فقد عدانا بها بالجسم سنا نا
 وقوة العقل في الحقيقة كائنه على النسي
 والافصال اتصال بالهده ووضح الفهم الذي بالذات نا
 ودونه خده نحو الملايكة وقد خالفت عزاهم ومعدرا نا
 فبارى قريتهم ولا فوما ولا يرى تفاهتهم وعقبا نا
 يشعل ملايكة عزاهم عن الهبوط عن ذلك اما نا
 فان صيغتهم لملك اصعبهم اذ كان ركننا انا استفادنا
 وبعدهم تلاه في الالههم رزق ما الوراء انا لانت نا نا
 من هوز عن الركب ليس له منه حجاب مفضلون اشغالنا
 هم الوسايط طلع الله شملناهم ونشاهم فيصلوننا
 بها الفعديا اول ولا نور لهما ما كان لغفلنا عنه وانما نا
 لاشي اللفظ منها ان من عرفوا القديم اصفى جميع الخلق احما

اجرة الجز الاجتنام ليقرب الامن بعد مطالبه فانظر انما
 اذلا الملا الاصل فليس يرى دما مظاهرا جرحا مبدئا
 فان جرحه نحو المشرك فان في صورة التمسك للاصل من اجسامنا
 حتى يرى صور اشئى زكبه من المعاد والاصار السوا
 وبعد تحوان صابت ولما علم المعادن والاشجار انما
 بعد تعلم الامان وهو ما علمت بلق على البريد كما
 لان صورته ان حردت بعينك وليس شئ على التزم ان ما
 الكسل وما يطيار سرعته وفرر لاذراكه الثاني وان ما
 وسر عي طيب لئلا ينال به القرب بعيننا منه ونعشانا
 معاد يدخر اجاب الهمز واجاب السعال ومن الملك اعوانا
 وقصق الزمان فجاب البريد وانته وزمنا او ليعاد منها
 نهى الى مع ذلك ما زال المشرك انتهى الى الخط ما زال حقوقا
 نحو المطلق للهوى العلو و لا يهوى كالملايم ذرا وعشيانا
 اذ اذ الكسل معناه هو مطلقه واه بالعلم والادراك فحلنا
 اسره الدهر محققا بطله ورمنا فضل المسلس
 وصو شرح من امر الالة من قدرى جكلمر انسلو طغنا
 والعقل بزجرها عما يشد به لولا اهلها احدوا او اودا
 قال في قوة الحيل عدا فها كشدتها العمل بتميز الفصل
 وحسب المبد الاصل لتقلها جبره بعد اضيقا فواونا
 ولا يرى الفسيف الميسر بلوقه وجره للمضم والركب حتما
 ولا معاد ولا رتب يدورها وحسبها كحرف هذا الراجح انما